طريق المحبوبين وأذواقهم

فوزى محمد أبو زيد

دار الإيمان والحياة

رقم الإيداع ٣٤٢٩ / ٢٠٠٢ م

مقـــدمـــة

الحمد لله رب العالمين واجه عباده المقربين بأنواره وخصّهم بأسراره، ثم منّ عليهم فوهبهم العلم النافع، والقلب الخاشع، والعمل الرافع، والكلم الحكيم الجامع.

والصلاة والسلام على سيدنا محمد كوثر الحق المشهود، وسدرة منتهى الورود، وضياء العهود، ونور قلوب الركع السجود وآله وأصحابه وكل من تابعه بصدق ويقين إلى يوم الدين.

وبعد..

فهذا كتاب ينير الطريق للسالكين، ويوضح السبيل للمقربين للوصول إلى جمالات العارفين، وأنوار الصدق واليقين، يفتح الباب للأحباب للوصول إلى عليّ الرحاب، ويكشف عن الآداب التى يتجمل بها من أراد الوجه بغير نقاب.

ثم هو يُبين بعض منح العارفين، وإلهامات الواصلين، وفيوضات الصادقين؛ تعلية لهمم المريدين، وتشويقاً لنفوس السالكين، وتحبيباً وترغيباً للواصلين وقدحاً لزناد العاشقين ليكونوا كما قال الإمام أبو العزائم رضى الله عنه :

علّوا عزائمكم وهيّا واعشقوا لتشاهدوا عدن الجنان وحورها

ويُفْصح عن قطرة من كمالات الحبيب، تجعل القلب يتعلق بهذا الجمال المهيب، فيهيم عشقاً فى حضرته وشوقاً إلى رؤيته حتى يطيب،

ويصير له من بركته ونوره وعلومه وسره وراثـــة ونصيـــب، فـــيراه فضلاً وكرماً فى مقام الزلفى وبعد ذلك عنه لا يغيب

لا يغيب النور عن أهل اليقين   كيف ذا والنور فى الأفق المبين
شمسنا طه الحبيب المصطفى   لم تغب ياطالب الحــق اليقــين
من يقل غابت فذاك لحجبــه   كيف يخفى نور خير المرسلين
نوّرتنا الشمس أصبح نورها   مشــرقاً فى كل فــرد فى أمين

والسالك على الحقيقة، مَنْ توحد مطلوبـــه، ورضـــى بمـــا قـــدره محبوبه والواصل من كان الله مراده، وهذا مقعد الصدق وراء ظـــهره وأهل التمكين من فازوا بجمالات العين، ولم ينشـــغلوا عنـــها بســـواها طرفة عين.

والعارف الفرد محبوب لخالقه   فات المقامات تحــقيقاً وتمكــيناً
فى كل نَفَس له نور يواجهه   من حضرة الحق ترويحاً وتيقيناً

فاللهم أذقنا لذة وصالك، واسقنا شراب أهل كمالك، وأبحنا النظـــر إلى علىّ جمالك، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

مساء الثلاثاء
٦ من شعبان ١٤٢٢هـ
٢٣ من أكتوبر ٢٠٠١م

الراغب فى جناب مولاه
فوزى محمد أبو زيد
الجميزة ـــ مركز السنطة ـــ غربية
ت: ٥٣٤٠٥١٩ / ٠٤٠

الفصل الأول
الطريق إلى الله

- التربية الروحية.
- طريق الصلاح.
- المعية الإلهية.
- الأخوة النورانية.
- سر الوصول.
- حقيقة الإنعام.
- الجهاد الموصل.



الطريق إلى الله(*)

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين، والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد بن عبدالله، كنز الهدى للصالحين، وسر السعادة للمتقين، وباب الفتح لأهل الإخلاص والصدق لله فى كل وقت وحين، صلى الله عليه وعلى آله الطيبين، وصحابته المباركين، وكل من اهتدى بهديه إلى يوم الدين.. آمين يارب العالمين.

[أما بعد].. فيا إخوانى فى الله، ويا أحبابى فى سيدنا رسول الله ﷺ : أكرمنا الكريم عز وجل فى هذه الليلة فجمع شملنا، ووحد قلوبنا، وصفى نفوسنا، وطهر قلوبنا، لنجتمع جميعاً على إحياء نهج رجل من الصالحين، ولا نزكيه على الله عز وجل، ولكن إقراراً بالحقيقة كما علمنا سيدنا رسول الله ﷺ .

التربية الروحية

ونهج الصالحين ــ لمن خفى شأنه عنده ــ هو التربية الروحية الصافية، التى تبلغ بالعبد إلى المنازل الراقية فى حضرة القرب عند الله، وفى أنس الوصال مع سيدنا ومولانا رسول الله ﷺ .

(*) كان هذا الدرس فى مسجد الغفران بمدينة بور سعيد يوم الخميس ٢٣ من ربيع الآخر ١٤٢٠هـ الموافق ١٩٩٩/٨/٥م فى الاحتفال بذكرى فضيلة مولانا الشيخ محمد على سلامة رضى الله عنه.

فالعبد الذى يصطفيه الله، ويؤهله عز وجل روحانياً وباطنياً لمقام الشهود والمناجاة، يجمعه مولاه على رجل تقى نقى فاز بكمال الشهود فى حضرة الله، ليأخذ بيده فيرقيه ويصفيه، ومن جميع الأمراض الباطنة يداويه ويشفيه، حتى يصير بصيراً بعين البصير، سميعاً بأذن السميع، متكلماً بلسان المتكلم عز وجل، مع كمال وجوده بحياته الظاهرة الدنيوية، فيقوم بجسمه وبنفسه بما عليه لأهله وللخلق أجمعين، ويقوم بروحه وقلبه وحقائقه الباقية ليشهد ما أعدّ الله عز وجل فى جنات خلده وفى حضرات قربه لعباد الله الصالحين والمتقين، فينظر بالعينين، ويشهد بالمشهدين. ولا يكمل عبد فى هذا المقام إلا إذا وهبه الله إماماً مكنه سيد الأنام ﷺ فى هذا المقام، وأقامه داعياً بإذنه لسعادة جميع الأنام.

وإمامنا وسيدنا وزعيمنا، وقائدنا إلى الله عز وجل فى حضرات القرب، هو فضيلة مولانا الشيخ محمد على سلامة رضى الله عنه وأرضاه. وقد أكرمنا الله عز وجل به فى الدنيا وفى الآخرة بما لا نستطيع أن نصفه أو نتحدث عن جانب منه فى هذا المقام، ولكن كل ما نستطيع أن نبيح به هنا، يكفينا أن الله عز وجل عرفنا به حقائق علمية، إذا عرفها المرء وعمل بها يصل على أقصى من لمح البرق إلى عين اليقين من القرب من رب العالمين عز وجل.

هذه الحقائق موجودة فى باطن كتاب الله، لكنها لا تلوح إلا لقلب هداه الله إلى أسرار كتاب الله، ولا تظهر إلا فى مظهر جمّله الله عز

وجل بأنوار ذاته، وحلاّه بكمال أسمائه وصفاته، وأشـرق علـى قلبـه بأنواع وأصناف لا عدّ لها من بحار فيوضاته وأنوار تجلياته عز وجل.

طريق الصلاح

من ذلك: السؤال الذى يلحّ على كثير من الأنـام، كيـف يصـير المرء صالحاً لفضل الله؟ وكيف يصير قلبه معدّاً لتنزل نفحات الله؟

هذا السؤال كثير منا سمعه، وسمع أكثر طلاسم فى الإجابة عنـه. من الناس من يسوق الإجابة عن السؤال فى صيغ فلسفية ليعمى عـن القوم، حتى يظنوا أنه وصل إلى حالة روحانية لم يصل إليـها سـواه، فيستخدم معميات الألفاظ، ويسوق فى كلامه الأحاجى والألغاز. وكلمـا أبهم فى الكلام ظن العوام أنه زاد تبحراً فى الولاية عند الملك العـلام عز وجل.

وبعضهم يسوق الطالبين لهذا السؤال، والراغبين فى الإجابة عنـه إلى أبواب العبادات والمجاهدات، والتى أحياناً قد لا تلائـم أجسـامهم وحقائقهم، فيتعدون الأطوار الكونية، ويصابون بأحوال مرضية، يظنـها بعض الناس جذباً، لكنها ليست بجذب، وإنما خيال نتيجة الأوهام التـى أصابتهم، لأنهم لم يستخدموا الحكمة الروحانية فى المجاهدات القرآنيـة، والنوافل النبوية، للوصول إلى رضوان الله عز وجل.

ومنهم من يقيم القوم فى خدمته، ويعدهم ويمينهم بأنـهم إذا بذلـوا أقصى جهدهم فى خدمته، فسيمن الله عليهم جزاء هذه الخدمة بمقامـات

الولاية، ويتفضل عليهم ويمنحهم درجات أهل العناية، ليزيدوا فى الخدمة، ويزيدوا فى البذل له والعطاء. وكل ذلك وغيره بعيد عن نهج السماء.

لكن ما أقصر الطريق الذى وضعه لنا إمامنا وشيخنا رضى الله عنه وأرضاه، فقد جعل الطريق إلى الله عز وجل، وإعداد القلب لنيل رضاه والفوز بما وعد به الصالحين من عباد الله، من مناهل الإكرام وأنوع الإتحاف والإنعام، من العلوم الوهبية، والإشراقات القرآنية، والأنوار الإلهية، والمكاشفات الربانية، وغيرها من أنواع الإكرام، كلها أو جلها تحتاج إلى عمل واحد وبسيط، ليس عملاً بالأبدان، وليس عملاً بالأموال، وليس جهاداً فى الطاعات والقربات، وإنما عمل فى محو ما فى القلب من خصال مذمومات أجملها الله عز وجل فى كتابه فقال : **﴿ ونزعنا ما فى صدورهم من غل إخواناً على سرر متقابلين ﴾** [الآية: ٤٧، الحجر].

المعية الإلهية

كل ما يجعل المرء حقيقاً بفضل الله، ومؤهلاً لتنزلات رضوانه ونوره وبهاه، أن يكون داخلاً فى جملة الذين أنعم الله عليهم، لينطبق عليه القرار، الذى قال فيه العزيز الغفار : **﴿ فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقيين والشهداء والصالحين ﴾** [الآية: ٦٩، النساء] يدخل فى هذه المعية الإلهية، فيكون معهم ومنهم. وهذه المعية معية واحدة من بدء البدء إلى نهاية النهايات، فيها جميع النبيين

وجميع المرسلين، وجميع الشهداء والصالحين. وأوسط العقد سيدنا رسول الله ﷺ، فهو واسطة عقد النبيين والمرسلين والشهداء والصالحين.

هذه المعية التى اشتاق ﷺ إلى أهلها، وقال فيهم – ونرجو الله أن نكون فيهم أجمعين : **(واشوقاه لإخوانى الذين لما يأتوا بعد) فقالوا : ألسنا إخوانك يا رسول الله؟ قال: (أنتم أصحابى، إخوانى قوم يأتون فى آخر الزمان، آمنوا بى ولم يرونى، عمل الواحد منهم كسبعين منكم)، قالوا: بسبعين منا أم منهم يا رسول الله؟ قال: بسبعين منكم، أنتم تجدون على الحق أعواناً وهم لا يجدون)** [رواه الإمام مالك فى الموطأ].

وقد بشرنا الإمام أبو العزائم رضى الله عنه وأرضاه، بأننا المعنيون بهذا الحديث الشريف فقال رضى الله عنه :

بشرى لنا اشتاق الحبيب لذاتنا وتمنى يرآنا بقول صراح

وقال مذكراً لنا مرة أخرى، حاثاً لهممنا، وحاضاً لعزائمنا :

من مثلكم والشوق أوصلكم إلى سر الأخوة مطلب الأصحاب

فغاية المراد أن يُسلك المرء فى عقد الذين أنعم الله عليهم. بم أنعم الله عليهم؟ أغمضت الآية، لأنها إجابة لا يطلع عليها إلا أهل العناية، ولا يراها ولا يُكاشف بها إلا خاصة أهل الولاية. ﴿ **فأؤلئك مع الذين أنعم الله عليهم** ﴾ بماذا؟ أخفى ذلك الجواب لأنه أمر خاص من كنوز

حضرة الوهاب، وكل يغترف على قدره بما يشرح الله به صدره، وبمـــا ظهر من نور النبوة فى قلبه.

الأخوة النورانية

المهم أن ينضم فى هذا العقد الثمين ويكون مـــع الذيـــن أنعـــم الله عليهم. ومن الذى ينعم الله عليه بهذا الأمر؟ الذى ينال مقـــام القـــرب. وكنا نظن كما ظن كثير من الناس حولنا وقبلنا، أن مقام الأخوة يتحقـــق بالمشاركة والمجالسة، أو أخذ البيعة والعهد فقط، حتى بين لنـــا إمامنـــا جلية الأمر، وأوضح لنا خالصة السر، وأماط اللثام عن نـــور مكنـــون آيات كتاب الملك العلام عز وجل، فبين أن مقام الأخوة مقام راقـــى، لا يسلك المرء فى عداد الإخوان ــ والإخوان هنا هم الذين يقـــول فيـــهم الإمام أبو العزائم رضى الله عنه:

إخـــوانه والناصرون لدينه والمرشدون بحضرة الفتاح

متى ينضم إلى هذه الأخوة؟ إذا عالج ما فى قلبه من أحوال نفسية، وتطلعات دنيوية، وآمال وهمية، وعمره بحب الله عز وجـــل ورســـوله ﷺ والصالحين من عباد الله.

فكانت الآية واضحة، والآية تتكون من شقين ﴿ **ونزعنا ما فـــى صدورهم من غل** ﴾. وقس على الغل، الغش والخديعة، والحقد والحسد والكبرياء، وكل المنازعات النفسية، والصفات الكبريائية التـــى تجعـــل النفـــس ظلمانية، لا تستطيع مهما تعددت أن تنظـــر بعيـــن إلهيـــة، أو

تدخل فى نطاق أهل المعية. بعد النزع مباشرة ﴿ **إخواناً علـــى ســـررٍ متقابلين** ﴾.

يعنى أن الذى ما زال عنده بقية من الغل أو الحقد، أو الحســـد أو الطمع، أو الحرص أو الشح، أو البخل، أو الأثرة أو الأنانية، فمـــا زال محباً لأهل المعية، لكنه لم ينضم رسمياً فى عداد أهل المعيـــة. ولذلـــك فما زال لم يفتح عليه بمفاتيحهم السنية، ولـــم يُســـمح لـــه بعطاءاتـــهم الوهبية، فقد قال إمامنا أبو العزائم رضى الله عنه : (نحن قـــوم نكتـــم أسرارنا عن الطالب حتى لا يكون له شهوة إلا فى الحق).

سر الوصول

وأظن بهذا الأمر أُختصر الطريق، وأصبح التحقيق به سهلٌ علـــى كل رفيق، ما عليك إلا أن تضع عين بصيرتك على نفسك وســـريرتك، وتنظر إلى ما فيها من عيوب تحجبها عن حضرة علام الغيـــوب عـــز وجل، وتجاهد فى إزالة ذلك المطلوب حتى تكون إنساناً منظوراً بعيـــن الغيوب، ويفتح لك كنز فضل الله عز وجل بعد دخولـــك ضمـــن هـــذه العصبة والثلة المباركة.

من كان منـهم يرأهم ويودّهم ويفوز منهم بالصفا ويوالى

ولذلك قال صلوات الله وسلامه عليه : **(مكتـــوب على باب الجنـــة لا يدخل الجنة من كان فى قلبه مثقال ذرة من كبر)** وخاصة إذا كـــان هذا الكبر على إخـــوانه، لأن الله أمرنا أن نكـــون : ﴿ **أذلـــة علـــى**

المؤمنين أعــزة على الكافرين ﴾ بعد ذلك : ﴿ يجاهدون فى ســـبيل الله ﴾ [الآية: ٥٤، المائدة] فالجهاد لا يصح إلا بعد التحقق فى المقامين المتقدمين. أن يكون متواضعاً ذليلاً، وهيناً وليــــناً، وبشوشـــاً لإخوانـــه المؤمنين أجمعين، وأن يكون عزيزاً يعزّ نفسه عن الدّنو من العظمـــاء والمتكبرين وإن كان لحاجة عاجلة، فإن رب الحوائج على كـــل شـــئ قدير ﴿ ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب ﴾ [الآيتان: ٢،٣، الطلاق] فإذا تحقق المريد بكلام الحى القيـــوم الحميـــد المجيد، وصفى قلبه، وطابت نفسه، ارتاح سرّه، ورقـــى فـــى عوالـــم القرب، ونظروا إليه نظر عطف وحنان، فبدلوه إلى أحسن حال. فـــإذا جاهد يجاهد فى مقام الرجال، لا يجاهد بالفعال ولا بالأعمـــال، وإنمـــا يجاهد فى محو ما لا يحبه الله من خصال، والتجمل بـــالأحوال التـــى جعلها واضحة فى صورة سيدنا ومولانا رسول الله ﷺ وفيـــها يقـــول القائل: (ليست الكرامة أن تطير فى الهواء فإن الطيور فى السماء تفعـل ذلك، وليست الكرامة أن تمشي على الماء لأن الأسماك والحيتان تصنع ذلك، ولكن الكرامة أن تغير خُلقاً سيئاً فيك بخُلق حسن). ذلك هو جـــهاد الرجال، وهو الطور الثانى.

حقيقة الإنعام

فإذا انتهى من الطور الأول، وجهز ماعون قلبه بالصفاء والنقـــاء والبهاء، رقاه الله وجعله من جملة من أنعم عليهم الله، وأول مـــا ينعـــم عليه الله ـــ ليس كما تظنون أو تعتقدون، يعنى يعطى له الكشف حتـــى يرى الرائح والقادم، أو يعرف ما فى نفوس الآخرين!! أول إنعام ينعمـــه

عليه الله أن ينعم عليه بحفظ حدود الشريعة فى كل مقام. ﴿ **وأن هـــذا صراطى مستقيماً فاتبعوه** ﴾ [الآية: ١٥٣، الأنعام]. لم يقل وأن هـــذا صراطى مستقيماً فامشوا عليه، وإنما ﴿ **فاتبعوه** ﴾ إشارة إلى حضرته صلوات الله وسلامه عليه، فهو الذى نمشـــى وراءه. وهـــل يســتطيع الإنسان أن يتحقق بالسير على قدم رسول الله بغـــير توفيـــق وفضـــل خالص من مولاه عز وجل؟

وهذا أيضاً فتح يفتح الله به على العبد، بأن يوفقه لإتبـــاع الشـــرع فى كل حركاته وسكناته، وغدواته وروحاته، حتى فى لهوه ولعبه، فـــلا يلهو ويلعب إلا بميزان الشرع الدقيق، ولا يحادث ولا يُحدث إلا علـــى منوال أهل التحقيق، فتكون أوقاته كلها لله، لأن عمله مربـــوط بســيدنا ومولانا رسول الله، فيكون متحققاً بقول الله عـــز وجـــل : ﴿ **قـــل إن صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين. لا شريك له وبذلـــك أمرت وأنا أول المسلمين** ﴾ [الآيتان: ١٦٢، ١٦٣، الأنعام].

فيكون مقامه وصفاؤه، بعده تحقق بشريعة سيد الأنبياء، بإلهام مـــن الله، وتوفيق من الله، بعد علم نافع من الوارث العالم الفرد الذى علمـــه سيدنا رسول الله ﷺ . لأن أبواب الشريعة الغـــراء كثـــيرة، والعمـــر للإنسان مهما كان طويلا يجعله لا يستطيع أن يتحقق بعشر معشـــارها، لكن حسبه أن يتحقق بقدر يسير منها يوافق مراد الله فيه.

المهم أن يوافق مراد الله فى العمل الذى يعمله فى هـــذه الحيـــاة. فيمن الله عز وجل عليه بعد إتباع الشرع علـــى التحقيـــق، بـــالأخلاق

القرآنية، والمواهب المحمدية الخلقية، وهى فضل من الله، وهى أعظم عطاء يتفضل به الله عز وجل على عبدٍ من عباد الله.

فأعظم منة، وأكبر منحة، وأفضل عطية يمن الله بها على العبد أن يجمله بأخلاقه العلية والأخلاق ليس فيها سبيل محض إلى الاكتساب وإنما على المرء إخلاص النية، وصفاء الطوية، والصدق للذات العلية. ثم يمن عليه المتفضل فيمنحه هذه الأخلاق عطية من عنده عز وجل.

هى الأخلاق أسرار المعالى تُفاض على أولى الهمم العوالى

إفاضة من الله عز وجل اسمع إليه عز وجل وهو يقول : **(الإخلاص** ــ وهو أعزّها وأغلاها وأرقاها ــ **الإخلاص سرٌّ من أسرارى، أستودعه قلب من أحب من عبادى، لا يطلع عليه شيطانٌ فيفسده، أو ملكٌ فيكتبه)**[1].

إذن الإخلاص وهو سر الخلاص للخواص، فضل من الله عز وجل ونعمة، والله عزيز حكيم.

وإذا منّ الله على عبيد بالإخلاص فقد أوقفه على قدم الصدق فى طريق الخواص. يفتح له المجالى الذاتية، والطرق الرضوانية، ويواليه بالمنح الإلهية، لأن الله جعله من عباده المخلصين. يكفيه إذا دخل فى عداد المخلصين أنه فى أمان من الشيطان ووسوسته

---

[1] رواه القزوينى.

﴿ **إن عبادى ليس لك عليهم سلطان** ﴾ [الآيـــة: ٤٢، الحجـــر].
ولذلك قال الله فيمن يريد الصدق كيف يتحلى به. ﴿ **يـــا أيـــها الذيـــن آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين** ﴾ [الآية: ١١٩، التوبة].

يتفضل الله عليكم ببركتهم بخلق الصدق. الصدق فـــى الأحـــوال، والصدق فى الأعمال، والصدق فى الأقوال. فضل من الله عـــز وجـــل يوليه لعباده المخلصين، وعباده الصالحين، ببركة مصاحبتـــهم لعبـــاده الصادقين فى الدنيا.

الجهاد الموصل

إذن مثل هذه المعانى التى ترقق نفوس المريدين، وتصفى قلـــوب السالكين، وتهيّم فى الملكوت الأعلى أرواح المقربيـــن، نتنســـمها فـــى رياض مجالسة الصالحين والأولياء العاملين كما قلت يا إخوانى فعندمـــا سمعنا من شيخنا رضى الله عنه هذا المعنى العظيم ﴿ **ونزعنا ما فـــى صدورهم من غلٍ إخواناً على سرر متقابلين** ﴾، وعلمنا علم اليقيـــن أن المرء لا يكون أخاً للصالحين، ولا يدخل معية الذين أنعم الله عليهم مـــن النبيين والمرسلين والمتقين إلا إذا صفى نفســـه وقلبـــه وســـرّه لـــرب العالمين، جاهد فى ذلك. وهذا هو الجهاد الأعظم، وهذا هـــو الجـــهاد الموصل.

فجهاد العبادة جهاد لتكثير الحسنات، ولنيل الدرجات، والفوز يـــوم القيامة بالمراتب فى الجنات. أما الجـــهاد الموصـــل للفضـــل والفتـــح والمكاشفات جهاد القلب. ﴿ **إلا من آتى الله بقلب سليم** ﴾ [الآيـــة: ٨٩،

الشعراء]. من يأت الله بقلب سليم هنا، يرى هنا عاجلاً ـ بشرى له ما ادخره له الله عز وجل، ولن يراه غيره إلا فى الدار الآخرة لأنه سلّم قلبه ـ من هنا ـ من المنازعات والمشاركة والآثام والذنوب القلبية التى ذكرنا أمثلة لها فى هذا المقام، وإليها الإشارة بحديث المصطفى ﷺ أيضاً **(لا تحاسدوا ولا تناجشوا، ولا يغتب بعضكم بعضاً، ولا يبع أحدكم على بيع أخيه، ولا يخطب أحدكم على خطبة أخيه** ـ إلى آخر هذه الصفات، فإذا فعلتموها ـ **وكونوا عباد الله إخواناً)**[1].

إذن الإخوان الذين تجاوزوا هذه المجاهدات، وصفوا نفوسهم من هذه الكادروات، فأنعم الله عليهم وسلكهم فى عباد الله الصالحين وحزبه المفلحين.

تلكم بعض المعانى التى أردت أن أبثها لنفسى وإخوانى، وقد سمعتها من شيخى فضيلة الشيخ محمد على سلامة، وسمعتها فى قلبى، وعملت بها فى نفسى، فمنّ الله علينا بفضله ورضوانه وإكرامه وإنعامه.

نسأل الله أن يمن علينا بخالص العطاء، وبواسع الفضل وكثير الجزاء، وأن يدخلنا فى الصالحين، وأن يجعلنا من أهل الفتح الأكبر فى كل وقت وحين. وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

---

[1] رواه أحمد عن أبى هريرة.

الفصل الثانى
طريق المحبوبين لله

- قدر النية.
- الإخلاص طريق الخواص.
- منزلة المحبين.
- بشريات الصادقين.
- حياة الموقنين.
- أهل محبوبيه الله.



طريق المحبوبين لله(*)

الحمد لله الذى أكرمنا بولايته وجعلنا ممن يقبل حكمته وأوصل قلوبنا بنور صفوته من بريته وشملنا فى الدنيا بحفظه وصيانته وعنايته ونرجوه عز شأنه أن يجعلنا جميعا فى الآخرة من أهل النظر إلى جمال حضرته، والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد بن عبدالله مفرج كل كرب وكاشف كل هم وغم بأمر من يقول للشئ كن فيكون ﷺ وعلى آله وصحبه وكل من سار على هديه واستنار بنوره إلى يوم الدين وعلينا معهم أجمعين آمين آمين يارب العالمين.

أما بعد..

فيا إخوانى ويا أحبابى بارك الله عز وجل فيكم أجمعين..

فأحوج ما نحتاج إليه الآن وفى كل زمان ومكان أن نحس جميعا نهج الحبيب المصطفى ﷺ فى أنفسنا وفى بيوتنا وفى أهلنا وفى شوارعنا وفى أعمالنا وفى حركاتنا وسكناتنا وفى كل توجه لنا فى دنيانا لربنا عز وجل وكتاب الله عز وجل لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها وسنة الحبيب المصطفى ﷺ بينت لنا ما لم نستطع إدراكه

(*) كان هذا الدرس بالمسجد الكبير ببور فؤاد يوم الخميس ١٢ من جمادى الأولى ١٤٢٢هـ الموافق ٢/٨/٢٠٠١م فى الاحتفال بذكرى فضيلة مولانا الشيخ/ محمد على سلامة رضى الله عنه.

من كتاب الله لقصور فينا عن فهمه لكننا نحتاج على الدوام أناس اختارهم الله ووهبهم الله عز وجل من عنده الكيفية السديدة والطريقة الرشيدة التى يطبقون بها منهج الله وهدى حبيب الله ومصطفاه فإن البشر جميعاً يميلون إلى المحاكاة يريدون أن يحاكوا شخصاً أمامهم يطبق منهج ربهم ويشجعهم على ذلك إذا رأوه قد وصل إلى ما وعد الله به أهل ذلك من النور والفتح والخير والبركات والبشريات التى يجعلها الله عز وجل للعاملين المخلصين فى الدنيا بشرى عاجلة لهم حتى يشجعنا عز وجل على الاقتداء بهم والتأسى بهديهم ونحن جميعاً نقرأ فى كل ركعة من ركعات الصلاة قول الله عز وجل ﴿ **اهدنا الصراط المستقيم** ﴾ [الآية: ٦، الفاتحة] لم يقل صراط الذى أنعمت عليه مع أنه خير البشر ولكنه جمع ﴿ **صراط الذين أنعمت عليهم** ﴾ [الآية: ٧، الفاتحة] فجعل الله عز وجل الذين أنعم عليهم لهم صراط وهو رسول الله ﷺ قال الله فى شأن حبيبه ومصطفاه **(وأن هذا)** وهذا اسم إشارة إلى حضرته صلوات ربى وسلامه عليه ﴿ **وأن هذا صراطى مستقيماً** ﴾ ولذلك قال ﴿ **فاتبعوه** ﴾ [الآية: ١٥٣، الأنعام] ولم يقل فامشوا عليه ولكن قال فاتبعوه والإتباع لحضرته صلوات ربى وسلامه عليه لكن الله نما فى نفوسنا الأمل فى حضرته والطمع فى حظوته والعشم فى دخول جنة رضاه فقال ﴿ **اهدنا الصراط المستقيم، صراط الذين أنعمت عليهم** ﴾ [الآيتان، ٦-٧، الفاتحة] كأن هذا السبيل ممهد ومذلل وسهل ويسير للذين يوفقهم الله ويشملهم بعنايته ويوجههم

إلى طريــق هدايتــه وسبيل عنايتــه فى الدنيــا وهم الذين قال فيــــهم ﴿ **فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشــهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقـــا** ﴾ [الآيــة: ٦٩، النســاء] هــؤلاء الصالحون أولهم وأعظمهم صحابة النبى الأمين فإذا ذكر الصـــالحون فحيهل بأبى بكر وثنى بعمر وثلّث بعثمان واتل بعد ذلك علىّ وما تـــلاه من أصحاب النبى العدنان فهم أصحاب الشأو فى هــذا الميــدان وهــم السابقون السابقون الذين ذكرهم القرآن وهم أهــل ولايــة الله الســابقة وأهل عنايته اللاحقة الذين أمرنا الله أن نهتدى بهم وقال لنا فى شـــأنهم ﴿ **أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده** ﴾ [الآية: ٩٠، الأنعام] لم يقــل الله لحبيبه اقتدى بالمرسلين والنبيين لأنه هو القدوة الأوحــد للســابقين واللاحقين وإنما أمره أن يقتدى بهداهم وأن يقتدى بما وهبهم وخصـــهم به مولاهم أما الذى نقتدى به أجمعين والسابقين واللاحقين فـــهو إمـــام الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد ﷺ وهو ﷺ حولنـــا إلــى أصحابــه لمعرفته بأننا عاجزون عن كمال أتباعه لأنه البحـــر الــذى لا يُــدرك والمحيط الذى لا يصل أحد إلى قطرة منه فضلاً عن قعــرة أو منتــهاه فلما علم عجزنا عن الاقتداء الكامل بحضرته قـــال لنـــا : **(أصحـــابى كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم)** يعنى يكفيكم أن تقتدوا بالثُلّة المباركة أو ببعضهم فى هديه وشمائله وخصائصه التى وهبها له الله عـــز وجــل وهذا أمر شاسع وعلم واسع يطول بنا المدى لو أشرنا إليه فضلاً عـــن ذكره وبيانه.

قــدر النيــة

لكن أريد أن أوجه إلى ما أشار إليه شيخنا أن الباب الأعظم لولاية الله لمن أراد أن يتولاه الله وأن يفتح له عز وجل كما فتــح بــه علــى الصالحين من عباد الله هى أن ينظر إلى قلبه فإن الله كفانا مؤنة التعــب والنصب فى العبادات ووجهنا إلى الطريق المختصر الــذى ننــال بــه القرب من خالق البريات عز وجل وقال فى ذلك سيد الســادات ﷺ **(إن الله لا ينظر إلى صوركم ولا إلى أموالكم ولكن ينظـــر إلـــى قلوبكــم وأعمالكم)**[1] وفى رواية أخرى **(ولكن ينظر إلى قلوبكم ونيّاتكم)** علــم الصحابة الكرام والأولياء من بعدهم العظام أن باب كل فتح وسر كــل صلاح ومفتاح كل نجاح وكنز كل خير وأرباح فى الدنيا ويــوم القيــام هى النية فعليها مدار السعادة وهى قطب الإرادة لأهل الحسنى والزيــادة فإن الله لا ينظر إلى ظاهر الأعمال ولكن ينظــر إلــى النيــات التــى تصاحب الأعمال **(إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ مــا نــوى)**[2] والنية السديدة الرشيدة هى التى يتوجه بها صاحبها لله فمن كان عطــاؤه لله ومنعه لله وأعماله لله وأقواله لله كان داخلاً فــى قــول حبيــب الله ومصطفاه **(من أعطى لله ومنع لله وأحب لله وأبغض لله فقد اســتكمل**

---

[1] رواه مسلم وابن ماجة عن أبى هريرة.

[2] رواه أحمد والبخارى ومسلم والترمذى وأبو داود والنسائى وابن ماجة عن عمر رضى الله عنه.

ولاية الله عز وجل)[1] وفى رواية فقد استكمل الإيمان بالله عز وجـــل. إذا أساس ولاية الله أن يكون عمل المؤمن ظاهرا وباطنـــا متجـــها لله وهذا ما عبر عنه الله على لسان حبيبه ومصطفاه لنقتدى به فـــى كـــل مسعى فقال فى شأنه مولاه ﴿ **قل إن صلاتى ونسكى ومحياى وممـــاتى لله رب العالمين** ﴾ [الآية: ١٦٢، الأنعام] فإذا استطاع المرء أن يجعـل حركاته وسكناته لله فقد فاز بأعظم مقام فى ولاية الله وإن قلـــت منـــه العبادات فقد قال الحبيب ﷺ : **(يا أبا ذر أخلص يكفيـــك القليـــل مـــن العمل)** لأن العبرة بالنية وليست بالعمل فإن النية يخرج منـــها صـــورة روحانية تنطلق إلى الحضرة الإلهية ويكون مقام الإنسان عند ربه علـــى حسب ما دخل فى هذه النية من صفاء قلبه وإخلاص لبه لله عز وجـــل وفى ذلك يقول سيدى أحمد بن عطاء الله السكندرى رضى الله عنـــه : (كل كلام يبرز وعليه كسوة من نور القلب الذى خرج منه) وقـــد قـــال فى ذلك حبيب الله ومصطفاه ﷺ ليبين لنا قيمة النـــية **(مـــن توضـــأ فأحسن الوضوء)** وفى رواية **(فأسبغ الوضوء وصلى فـــأتم ركوعـــها وسجودها وخشوعها لله خرجت وهى بيضاء مســـفرة وتقـــول لـــه : حفظك الله كما حفظتنى)**[2] يخرج من هذه النيـــة صورة نورانية تفتـــح لها أبواب السماء بابا وراء باب حتى تصل إلى قـــدس جنـــاب العلـــى

---

[1] رواه أبو داود والضياء عن أبى أمامة.

[2] رواه الطبرانى فى الأوسط عن أنس.

الوهاب عز وجل ثم تكلم صاحبها فتقول حفظك الله كمـا حفظتنـى إذا ألفاظنا وأعمالنا تصعد منها حقائق نورانية وروحانية تمتلأ بها الأجـواء العلوية كما وضح خير البرية ﷺ وكذلك لو كانت النية غير طيبة قـال فيها ﷺ : **(ومن لم يحسن وضوئها ولـم يتـم ركوعـها وسـجودها وخشوعها خرجت وهى سوداء مظلمة وقالت لـه ضيعـك الله كمـا ضيعتنى ثم تلف كما يلف الثوب الخلق ــ يعنى الثوب البالى الممـزق ــ ويلقى بها فى وجهه)** إذا نيتك تخرج منها حياة أعمالك وحقائق مـا يوضع فى ميزانك يوم لقاء الله فإن الله عز وجل يزن أعمالنا والأعمـال حقائق نورانية أو حقائق ظلمانية ولكنها توضع فى الموازيـن الإلهيـة يوم الدين كما أنبأ سيد الأولين والآخرين ﷺ .

الإخلاص طريق الخواص

فإذا كان الإنسان مسددا وأراد الله عز وجل تقريبه أصلح له نيتـه وجعل عمله كله يقصد به حضرته وفى ذلك يقول عز شأنه فى حديثـه القدسى الذى يرويه الإمام القزوينى رضى الله عنه : **(الإخـلاص سـر من أسرارى أستودعه قلب من أحب من عبـادى)** ولذلـك قـال لنـا أجمعين ﴿ **وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين** ﴾ [الآيـة: ٥، البينة] فالإخلاص سر قرب كل الخواص فى الدنيا إلى الله عـز وجـل والإخلاص معه سلامة النية ومعه أيضا للخلق صفاء الطوية فلا يكـون

خالصا لله إلا إذا كان قلبه خالصا من الشحناء والبغضاء والغل والحقد والحسد والكره لجميع عباد الله عز وجل وقد بين الله عز وجل صفات أهل الجنة فقال فى شأنهم ﴿ **ونزعنا ما فى صدورهم من غل إخوانا على سرر متقابلين** ﴾ [الآية: ٤٧، الحجر] وبين هذه الآية الحبيب ﷺ ليلحظها أهل العناية فيعملوا بها فينالوا تاج الولاية من الله عز وجل فقال ﷺ : **(لا يبع بعضكم على بيع بعض ولا يخطب على خطبة أخيه ولا تنازعوا ولا تشاحنوا ولا تحاسدوا وكونوا عباد الله إخوانا)** أى أن الإنسان لا ينال شرف هذه الأخوة حتى يتخلص من هذه الصفات المذمومة التى وضحها نبى الله ومصطفاه ﷺ إذا ولاية الله لمن أراد أن يكون فى أعلى مقام عند مولاه ليست فى قيام الليل ولا إتمام صيام النهار ولا الإكثار من تلاوة القرآن إلا إذا صحبهم نية خالصة فى كل قول وعمل لله وحب صافى خالص لجميع عباد الله عز وجل فمن أقام الليل عمره ومن تعبد لله دهره وعمله يقصد به رياءا أو سمعة فإن عمله مردود وسعيه مكدود ولا يقبل الله منه عملا لأنه قال عز شأنه : ﴿ **فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا** ﴾ [الآية: ١١٠، الكهف] وقال عز شأنه فى حديثه القدسى : **(أنا أغنى الأغنياء عن الشرك من عمل لى عملا أشرك فيه غيرى تركته له)**[١] لأنه لا يحب

---

[١] رواه أحمد وابن ماجة عن أبى هريرة والبيهقى وابن خزيمة بلفظ أنا أغنى الشركاء عن الشرك.

إلا العمل الخالص ومن ملأ الأرض والبر والبحر والجو عبادة لله ولـــم يطهر قلبه من الأحقاد والأحساد والشحناء لعباد الله فإن هذا كمن يبنـــى قصورا على الماء وكمن يحرث فى البحر لقوله ﷺ عندما قيل له : إن فلانة تقوم الليل وتصوم النهار ولكنها تؤذى جيرانها. قـــال: **(لا خـــير فيها هى فى النار).**

منزلة المحبين

وبين الحبيب أصحاب هذه المنزلة ومقام أهل هذه الدرجـــة فقـــال فيما رواه الإمام عمر بن الخطاب رضى الله عنه وذكره الإمـــام أبـــو داود والترمذى : **(إن لله عبادا ليسوا بأنبيـــاء ولا شـــهداء يغبطـــهم النبيون والشهداء لمكانتهم وقربهم من الله عز وجل يوم القيامة فقـــال أعرابى يا رسول الله عباد من عباد الله ليســـوا بأنبيـــاء ولا شـــهداء يغبطهم النبيون والشهداء صفهم لنا)** وفى رواية أخرى **(جلهم)** يعنـــى وضحهم لنا. قال : **هم أناس من أمتى من قبائل شتى وبـــلدان شـــتى توادوا بروح الله على غير أرحام بينهم)** لا يوجـــد نســـب ولا قرابـــة دنيوية بينهم ولا أموال يتعاطونها فيما بينهم لا يوجد تجارة أو مشـــاركة فى أعمال دنيوية وإنما الحب فى الله ولله عز وجل **(فـــوالله** ـــ وأقســـم الحبيب بعزة جلال الله ـــ **إن وجوههم لنور وإنهم لعلى منابر من نـــور قدام عرش الرحمن يوم القيامة يحزن النـــاس ولا يحزنـــون ويفـــزع الناس وهم الآمنون)** ثم تلى قول الله عز وجل **﴿ ألا إن أوليـــاء الله لا**

خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين آمنوا وكانوا يتقون لهم البشـــرى فى الحياة الدنيـــا وفى الآخرة لا تبديل لكلمات الله ذلـــك هـــو الفـــوز العظيم ﴾ [الآيات: ٦٢، ٦٣، ٦٤، يونس] ولنـــا فـــى هـــذا الحديـــث ملحوظتين أختم بهما قولى خوفا من السآمة والملل أولاهمـــا أن هـــذا الحديث يبين أن هؤلاء القوم وصلوا إلى تلك المنزلة بحبهم لبعضهم فى الله ليس بالعبادات ولا بالإكثار من الطاعات ولا بالمداومة على النوافـل والقربات وإنما بالحب فى الله ولله فقد قال ﷺ : **(أوثق عرى الإيمـــان الحب فى الله والبغض فى الله)**[1] هؤلاء القوم فى منزلة أكمل العبـــاد فإن أكمل العباد يوم القيامة أين منزلتهم؟ تحت ظل عرش الله يـــوم لا ظل إلا ظله الذى ذكر الله خاليا ففاضت عينـــاه والـــذى قلبـــه معلـــق بالمساجد والذى صان عرضه وأعضائه عن الزنا والحرام إذا تعـــرض لهذه الآثام والذى تصدق حتى لا تعلم شماله ما أنفقت يمينه وغيرها من الأصناف التى أوصلها الأئمة الكرام إلى حوالى سبعين بابـــا **(ســـبعة يظلهم الله فى ظله يوم لا ظل إلا ظله)** هذا حديث البخارى ومسلم لكـــن هناك أحاديث أخرى فى هذا الباب أجرها وثوابها أن يكون أهلها تحـــت ظل عرش الرحمن يوم لا ظل إلا ظله جمعها الإمام أبو ذرعة الشـــامى فى حوالى سبعين بابا كلهم تحت ظل عرش الرحمن يـــوم لا ظـــل إلا ظله إذا كمل العباد وأحسن المجتهدين فى طاعة رب العباد ســـيكونون

---

[1] رواه الطيالسى فى مسنده عن البراء بن عازب.

تحت ظل عرش الرحمن يوم لا ظل إلا ظله ونـــاهيك بـــهذه المنزلـــة منزلة ولكن أعظم منها وأكرم منها وأعلى شأنا منها الذين يكونون ليس تحت ظل عرش الرحمن وإنما قدام عرش الرحمن فـــى مواجهـــة ذى الجلال والإكرام قدام عرش الرحمن على منابر من نور قـــدام عـــرش الرحمن يوم القيامة وفيهم يقول رب العزة جل شأنه ﴿ **وجوه يومئـــذ ناضرة إلى ربها ناظرة** ﴾.[الآيتـــان: ٢٢-٢٣، القيامـــة] لأن ثـــواب العاملين الجنة وثواب المخلصين والمخلصين النظر والتمتـــع بجمـــال صاحب الجنة عز شأنه فما رأوا ولا تمتعوا بكمال ولا نعيم أكمـــل ولا أعظم ولا أجمل ولا أبهى من النظر إلى وجه الله عز وجل الكريم.

الملحوظة الثانية هى قول رسول الله ﷺ **(إن لله عبادا مـــا هـــم بأنبياء ولا شهداء يغبطهم النبيون والشهداء لقربهم من الله عز وجـل يوم القيامة)** يغبطهم يعنى يتمنون أن يكونوا مثلهم فالغبطة تمنى المـرء أن يكون مثل من ينظر إليه وليست الحســد لأن الحســد تمنـــى زوال النعمة ولا يكون ذلك لمؤمن صادق الإيمان مع الله عز وجل وقد كـــان هذا الموضع موضع سؤال من الأسئلة التى وضعها الحكيـــم الـــترمذى رضى الله عنه فقد وضع الإمام محمد بن على الترمذى الملقب بـــالحكيم وهو أول من تكلم فى علوم الولاية وكان فى القرن الثـــالث الـــهجرى وضع مائة وسبع وخمسون سؤالا لا يجيب عنها إلا رجل وصل إلـــى مقام المكاشفة.

ومقام المكاشفة بشرى عاجلة لأهل الولاية فـــى الدنيـــا فإنـــهم إذا أخلصوا مع الله وصفوا قلوبهم نحو خلق الله ولهجت ألسنتهم وأجسـلمهم بذكر الله وداوموا على طاعة الله أكرمهم الله ببشريات كثيرة منها علـــى سبيل المثال لا على سبيل الحصر أن يريهم الحقائق المعنوية للأعمـــال الظاهرية وأن يكرمهم الله فيريهم الحياة النورانيـــة لكـــل المخلوقـــات والكائنات حتى الأجسام الجمادية وقد كان هذا لصحابة رســـول الله ﷺ ورضى الله عنهم أجمعين كلنا نسمع عن السكينة لكن من منـــا رآهـــا؟ رآها الصحابى الجليل أسيد بن حضير فقد كان يتلو كتاب الله ورأى فى سقف غرفته غمامة أو ظله وبها مصابيح فذهب إلى الحبيب المصطفـــى وقال له : يا رسول الله رأيت فى سقف غرفتى غمامة كأنها ظلة وبـــها مصابيح. فقال الحبيب ﷺ : تلك السكينة تـــنزلت لتلاوتـــك القـــرآن. فأعلمه أن ما رآه هو السكينة وأن السكينة تظهر لأهـــل القلـــوب بعـــد صفائهم لحضرة علام الغيوب عز وجل فإذا زاد الصفاء يقول فيه إمـــام الرسل والأنبياء **(اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنـــور الله)**[1] ليـــس بنور الشمس ولا بنور الكهرباء، فيرى ما فى الصدور كما رأى ســـيدنا عثمان الرجل الذى نظر إلى إمرأة فى الطريق أين رأى هذا المنظـــر؟ وكيف شاهد هذا المخبر؟ بالعين التى فتحت بنور الله وكما رأى عمـــر

---

[1] رواه الحكيم وسمويه والطبرانى فى الكبير وابن عدى فى الكامل عن أبى أمامة.

على منبره قائد جنده وهو فى بلاد فارس وحدثه وسمعه وقال يا سارية الجبل فقال لبيك يا أمير المؤمنين فيرون الحقائق النورانية فى هيئتها النورانية لأن الله عز وجل يكشف لهم ذلك ويدخلهم فى أهل ذلك فى قوله عز شأنه ﴿ **وكذلك نرى إبراهيم ملكوت السماوات والأرض وليكون من الموقنين** ﴾ [الآية: ٧٥، الأنعام].

حياة الموقنين

إذا من وصل إلى مقام الإيقان يرى بنور الله الحقائق التى لا تراها العقول بالبرهان وإنما تراها القلوب بحقائق الإيمان ويشعر بحياة الكائنات فإن الحبيب أمسك بذرات الرمل فسبحت وسمعها من حوله ووضعها فى كف أبى بكر فسبحت وسمعها من حوله ووضعها فى كف عمر فسبحت وسمعها من حوله وكذا عثمان وكذا على ثم وضعها فى أيدى الآخرين الذين لم يصلوا إلى هذا المقام الأمين فما سمع تسبيحها فأعلمهم أن هذه خصوصية لأهلها بشرى عاجلة عجلها لهم الله عز وجل هؤلاء القوم يغبطهم النبيون والشهداء وضع الإمام الترمذى هذه الأسئلة ليجيب عنها أهل المكاشفات وأهل ﴿ **واتقوا الله ويعلمكم الله** ﴾ [الآية: ٢٨٢، البقرة] وبماذا يغبطهم النبيون؟ وهل معنى هذا أنهم أعلى درجة منهم؟ حاشا لله عز وجل لكن النبيون يغبطونهم لأن هؤلاء ليس عليهم مسئولية أو تكاليف ربانية فى الدنيا ولا يوم العرض والحساب فإن هؤلاء لم يكلفوا إلا بأنفسهم فاجتهدوا فى طاعة الله وأخلصوا

القلوب والنيات والتوجهات لله فأكرمهم الله فى الآخرة وصدر لهم قرار الله ﴿ **لا خوف عليهم ولا هم يحزنون** ﴾ [الآية: ٦٢، يونس] فأصبحوا ﴿ **على الآرائك ينظرون تعرف فى وجوههم نضرة النعيم يسقون من رحيق مختوم** ﴾ [الآيات: ٢٣، ٢٤، ٢٥، المطففين] والخلائق منهم من هو فى كرب الحساب والنبيون والمرسلون مسئولون عن أممهم فيحملون همهم ويفدون فى الموقف من أجلهم ويسعون نحو الله للتشفع فيهم والطلب من الله عز وجل أن يعفو عنهم أو أن يصفح عنهم أو أن يبيض وجوههم أو أن يثقل موازينهم فالملائكة الكرام فى هذا الموقف حافين حول العرش يسبحون بحمد ربهم والصديقون والصالحون الذين ذكرنا بعض أوصافهم لا شأن لهم بالكرب ولا الحساب لأنهم فى مواجهة الله وفى جمال الله يرتعون ويتمتعون فيتمنى الأنبياء والمرسلون أن لو كانوا مثلهم إن لم يكلفوا أو لم يحملوا أمراً ولا هماً مع أن هذا مقام أعظم ودرجة أكرم لأن هؤلاء فى راحة وعناء.

أهل محبوبية الله

إذاً مقام أهل محبوبية الله الذين أحبوا فى الله وأخلصوا لله وتوجهوا فى كل حركاتهم وسكناتهم لله هو من أعلى المقامات يوم لقاء الله ويكفينا تيهاً وفخراً قول حبيب الله فى الحديث الصحيح الذى رواه الإمام البخارى ومسلم بروايات متعددة قال الرجل يا رسول الله يحب

القوم ولما يعمل بمثل عملهم قال ﷺ : **(المرء مع مـــــن أحـــب يــوم القيامة)** وفى رواية يا رسول الله متى الساعة؟ قال : ما أعددت لـــــها؟ قال: ما أعددت لها كثير صـــلاة ولا كثـــير صيـــام ولكـــن أحـــب الله ورسوله. قال: **(أبشر فإن المرء مع من أحب يوم القيامة)** وفى روايـــة ثالثة **(يحشر المرء مع من أحب يوم القيامة)** قال سيدنا أنس بن مـــالك رضى الله عنه ما فرحنا بشئ فرحنا بهذا الحديث لأننا نحب رســول الله ﷺ ونطمع أن نكون معه بنص قوله صلوات ربـــى وســـلامه عليـــه وعندما اشتكى خادمه ثوبان من المرض وظهر عليه النحول والذبـــول وقال له رسول الله ما بك يا ثوبان؟ قال يا رسول الله لا أشكو من شـــئ غير أنى إذا لم أرك استوحشت وحشة عظيمة فتذكرت الآخرة والجنـــة وأنك تكون فى مقـــام النبيين والمرسلين وأنا مع عوام المؤمنيـــن فـــى الجنة فلا أراك فهذا الذى أمرضنى فـــنزل فى الحال قـــول رب العـــزة ﴿ **ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعـــم الله عليـــهم مـــن النبيين والصديقين والشهداء والصالحين** ﴾ [الآية: ٦٩، النساء].

إذا يا إخوانى أجمعين أكرمنا الله عز وجل بأن يسر لنـــا الأمـــر وسهل لنا الطريق وجعل لنا تاج ولايته وشرف كرامته ســـهل ويســـير وغير عسير أن يجعل المؤمن قلبه لله ويتوجه قبل كـــل قـــول وعمـــل لمولاه يرجو بالقول أو العمل رضاه ولا يبغى بعد ذلك شيئا من ســـواه وأن يملأ قلبه بالحب الخالص لعباد الله ثم ينام ويملأ عينه نوما بعـــد أن

يتمم فرائض الله ويعلم أنه من كمل أولياء الله عز وجل وأظن لو تحققنا بذلك فى زماننا لما صارت عندنا مشكلة لا فى مجتمعنا ولا بيننا وبين بعضنا ولا فى بيوتنا ولا فى جميع أسقاعنا وبقاعنا كما كان أحباب نبينا صلوات ربى وسلامه عليه.

أسأل الله عز وجل أن يرزقنا حبه الخالص لوجهه الكريم بلا شوب يشوبه وأن يرزقنا حبه وحب نبيه وحب كتابه وحب الصالحين من عباده وحب كل عمل يقرب إليه وأن يجعل نياتنا لوجهه الكريم دائما وأعمالنا له خالصة حتى نلقاه وأن يرزقنا الحب لجميع عباد الله وأن يسل من صدورنا كل ضغينة وسخيمة لأى عبد من عباد الله حتى نكون من الذين إذا رؤوا ذكر الله لرؤيتهم.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.



الفصل الثالث
آداب الدعاة والمريدين

- الأدب الذى يحبه الشيخ من مريديه.
- حقيقة القيام للحبيب.
- بغية الدعاة والمرشدون.
- جهاد آل العزائم.
- أدب الطالبين.
- آداب المجالس.
- صدق النيـــة.
- باب الصـــدق.

آداب الدعاة والمريدين(*)

نريد أن نقول كلمة لأنفسنا: ونحن فى حفل عام مثل الليلة البارحة، الأخ الذى نقدمه، إنما نقدمه ليمدح فى صاحب الذكرى ﷺ ، لا ليمدح بعضنا البعض. والناس الحاضرون ربما يقولون فى أنفسهم : إنهم أتوا ليمدحوا فى بعضهم، أنجعل الناس تسخر منا؟!! هذا الكلام لا يصح.

والحمد لله أنتم رأيتمونى عندما كنت مع مولانا ــ رضى الله عنه ــ إذا قدمنى فى أى مكان، ماذا كنت أقول؟ درس علم ينفع المسلمين، لأن من الجالسين أصحاب عقول وعقلانيين ولا يفهموا هذه الأحوال الروحانية التى معكم، فنضع الأحوال الروحانية جانباً فى أنفسنا وفى قلوبنا، ونمشى مع الناس بالآداب العامة التى يعرفها الناس.

الأخ الذى نقدمه ليلقى درساً، ماذا يكون الدرس؟ عبارة عن ماذا؟ موعظة بليغة، حكمة، حديثاً ويشرحه، آية يفسرها ويوضحها. والإمام أبو العزائم رضى الله عنه وأرضاه بين لنا هذا الأمر فقال : (إذا كنت مع الناس فحدثهم من علوم الرجل ــ بيّن لهم البضاعة، هذه هى العينة، وما بضاعتنا؟ الأسرار القرآنية، والجواهر النبوية، والحكم

(*) كان هذا الدرس صباح يوم الجمعة ١١ ربيع الأول ١٤١١هـ الموافق ١٩ سبتمبر ١٩٩١م قبل صلاة الجمعة بمسجد الأنوار القدسية بالمهندسين.

الربانية. هذه هى بضاعتنا التى نُظْهرها للناس ـ وإذا كنت مع الإخوان الصادقين فحدّثهم عن الرجل).

متى يكون هؤلاء الإخوان؟ عندما لا يوجد ميكروفون مثل هذا، وعددنا ثلاثة أو أربعة وليس بيننا غريب. وكان رسول الله ﷺ يسألهم: أفيكم غريب؟ فإذا قالوا: لا، يقول ﷺ : أجيفوا الباب. يعنى أغلقوا الباب ـ هؤلاء كم يكون عددهم؟ أربعة، خمسة، ستة، ولا يزيدون عن إحدى عشر رجلاً. نحن الآن أكثر من ذلك والحمد لله.

وكان سيدنا الجنيد ـ إمام الطريقة ـ رضى الله عنه وأرضاه، عندما يأتى إليه خاصة أهله وأحبابه يقول لهم : أفيكم غريب؟ يقولون: لا. يقول أغلقوا الباب وأتونى بالمفتاح، ويأخذه ويضعه تحت فخذه حتى لا يفتح أحد إلا بمعرفته. لماذا؟ لأن هذه أسرار القوم.

ونحن كذلك ـ والحمد لله ـ وإخوانى يلحظون هذا، فعندما نكون جالسين نتحدث مع بعضنا على الموجة العالية، الموجة الخاصة من البرنامج الثانى الخاص للمثقفين الروحانيين، وإذا أتى أحد من العوام نحول على الموجة العامة. وأنتم تلحظون هذا الأمر، لأن هذا هو الكلام الصحيح.

والإمام أبو العزائم ـ رضى الله عنه وأرضاه ـ قال : لو كان فى القوم ألف رجل من أهل مقام الإحسان، وفيهم رجل واحد من أهل مقام الإسلام أو أهل مقام الإيمان، فعلى الداعى أن يتكلم من مقام

الإسلام أو مقام الإيمان، ولا عليه أن يضيع ليلة بأكملها حتى لا يكشف السر على غير أهله. لماذا؟ حتى لا يكشف السر على غير أهله.

فنحن عندما يتحدث أحد من الإخوان فى مسجد، أو حتى فى مجلس الإخوان ولكن يحضره بعض العوام، فالحديث يكون من علوم الإيمان، ومن علوم الإسلام، ولا يصح أن يكون من علوم الإحسان أو علم الإيقان. وكل هذه العلوم ــ والحمد لله ــ حتى العامة منها، يعطينا ربنا فيها بصمة روحانية تجعل فيها القبول عند الناس. فمثلنا فى هذا ــ ببركة العجز والمسكنة التى لدى إخواننا جميعاً ــ مثل التجار الذين يقولون فيهم (حسن السوق ولا حسن البضاعة).

فالبضاعة لا تنفع، ولكن فيها قبول لدى الناس، والناس يرغبون فى سماعها، ويمكن غيرنا عنده ما شاء الله، فصاحة وبلاغة، وأناقة ورطانة، وغير ذلك، لكن ليس لها بضاعة فى السوق، هكذا هو الأمر.

وحسن السوق من أين يأتى؟ من الله، ليس منى ولا منك، فالقبول من الله، إذا أحب الله عبداً نادى جبريل: هلم ــ إنى أحب فلاناً فأحبه، فيحبه جبريل، ثم يوضع له القبول فى الأرض. وأهل الأرض ليس هم الكفار ومن على شاكلتهم، وإنما أهل الأرض يعنى أهلها المؤمنون. فأهلها على الحقيقة هم المؤمنون، وكل من رأوه يحبونه، وكل من يسمع كلامه يقبل كلامه ولو كان كلاماً عادياً، لأن الحب أصلاً من الله عز وجل.

فذلك الأمر يا إخوانى — إن شاء الله — الذى يتقدم منا فى درس عام أو حتى الذى يقدم أخاه فى درس من الدروس العامة، فلا داعى أن يقول العارف بالله. صحيح أننا — والحمد لله — كلنا عارفون بالله، كل مسلم على ظهر البسيطة عارف بالله، وهذا الكلام قد صدر من ناس عوام.

فعلى ما أذكر كان عندنا أحد المشايخ الكبار وقد أتى بورقة مكتوب فيها دعوة لحضور محاضرة للعارف بالله فلان، وهو فى غاية الاعتراض على هذا الكلام، فقام إليه أحد الحاضرين وهو من عامة الناس وقال له : وماذا فى ذلك يا مولانا؟ وإن كل مسلم أيضاً ما هو إلا عارف بالله، وكيف يكون مسلماً إذا لم يعرف الله؟ لكن هذه الكلمة قد يكون لها وقع آخر عند بعض الناس أهل الإنكار، فلا داعى لها ونحن فى غنى عن ذلك.

الأدب الذى يحبه الشيخ من مريديه

إن خير ما يقدمه المرء للناس فكره وعمله وحاله، وهذا هو أفضل تقديم له عند الناس فى القلوب، لكن التقديم هو مجرد التعريف وننشد فيه الأمور المعتادة، فلا نمدح ولا نثنى، ولا نكرم ولا نعظم، فلا داعى لكل هذه الأمور.

أيضاً كذلك فى بيت الله، لا يجب لعبد أن يقوم لعبد مهما كان قدره من الدنيا. فمثلاً نحن الآن نجلس فى مجلس علم أو مجلس ذكر ودخل

علينا أحد من الناس هل نقف له؟ لا. وأنا لا أحب هــذا لا لنفســى ولا لأحد من إخوانى. بل أتقزز منه بالمرة لأن الإنسان يحــب أن يكــون كغيره من الناس، فكلنا مثل بعضنا ولا يعرف أحد أين الخير؟ والقلــوب لا يعلمها إلا علام الغيوب، والبيان الذى نقولــه هــذا خصوصيــة ــ والخصوصية لا تقتضى الأفضلية ــ فربما يكون إنسان صامت ويكـون عند الله أعظم قدراً وأفضل بكثير من المتحدثين.

فهناك متحدثون حذرنا رسول الله ﷺ منهم وقال : (**أخشــى مــا أخشاه على أمتى من عليم اللسان جهول القلب والجنان**). اللسان ليـس له نظير ولا مثيل، لكن العبرة بالقلوب، والقلوب لا يعلمها إلا الله.

وسيدنا الإمام أبو العزائم رضى الله عنه وأرضــاه، ضــرب لنــا المثل الأعظم فى هذا الأمر، فقد سمعت من أحد خاصته وهــو الشــيخ عرفات الجمال رحمة الله عليه هذه الحكاية، قال: (كنت جالســاً أمــام الشــيخ متربعاً، حانياً ظهرى، مطأطئاً رأسى ويــدى علــى ركبتــى، وأظن أن هذا هو الأدب مع الشيخ، فقال لى الشيخ/ يا عرفات، من أنــا بالنسبة لك؟ فسكت. فقال أنا بالنسبة لك إما أب وإما أخ، فأنت إمــا أن تُنزل نفسك منى منزلة إبنى أو منزلة أخى، والأب أو الأخ لا يحــب أن يكون ابنه أو أخوه جالساً يتألم من جلسته ــ يريــده أن يجلــس علــى راحتــه ــ وليس هذا هو الأدب، ليس الأدب أن تجلس بين يدى هكــذا ثم تخرج إلى الطريق وتصنع كذا وكذا من الذنوب والعيــوب، ولكــن الأدب الحقيقى أن تراقبنى وأنت فى الخلوة، كما تراقبنى وأنت أمــامى،

يعنى تعلم أنى مُطّلع عليك فى هــذه الأحوال فــترعوى عــن الذنــب وتمتنع عن المعصية.

واعلم علم اليقين أن العارفين لا ينظرون إلى الحركات الظـــاهرة للمريدين، ولكن محل نظرهم هو حركات قلوب السالكين، فمن حــــاول أن يوهمهم بأنه يقدرهم أو يحترمهم بالحركات الظاهرة فهو يوهم نفســه ويخدع نفسه، لأن العبرة بالقلوب، والرجال لا ينظرون إلا إلى حركـات القلوب، حتى ربما يخطئ اللسان فى التعبير عما فـــى القلــب، لكنـــهم ينظرون إلى القلوب فيجدون النية سليمة فيغفرون خطأ اللســـان فربمـــا يزين اللسان كلاماً يقول فيه رسول الله ﷺ عن خطباء الفتنة فى زماننا هذا (ألسنتهم أحلى من العسل وقلوبهم قلوب الذئاب). فلا يهمـــهم هــذا التذويق، لأنهم يرون وينظرون إلى النية الموجودة فى قلب هذا النــاطق على التصديق.

حقيقة القيام للحبيب

فالعبرة بالقلوب، وقد يقول قائل : أن سيدنا أبا بكر كما سمعنا مــن إخواننا يقول :

قيامى للحبيب علىّ فــرض وترك الفرض ما هو مستقيم
عجبت لمن له عقــل وفهم يرى هذا الجمال ولا يقــوم

نقول له : صحيح. وقيامى للحبيب هنا ليس معناه الوقوف فقـــط، وإنما قيامى بمؤازرته، وقيامى بمناصرته، وقيامى بمعاونته، وقيــــامى

بشد أزره فى الدعوة إلى الله، وقيامى فى تذليل الطريق لنشر ديـــن الله، هذا هو القيام المطلوب.

بماذا أفعل بوقوفك كل يوم كم مرة فى الساعة ولم أر منك منفعـــة فى قليل أو كثير فى نشـــر دين الله عز وجل، ماذا أفعل بهذا الوقـوف؟ لا أريد منك وقوفاً على الإطلاق ولكن عليك أن تقوم بواجبك نحـــو الله ورسوله ـــ وهذا ما أريده ـــ فى نشر دين الله، وفى مـــؤازرة الدعـــوة إلى الله، وفى نشر هذا الفيض إلى جميع عبادا لله عز وجل.

وصحيح كيف يكون عند المرء عقل أو فهم، ويرى جمال الدعـــوة إلى الله ولا يقوم عاملاً فى ميدانها وناشراً لمبادئها بين النـــاس؟ كيــف هذا؟ أنا أستغرب من هذا. كيف يكون رجلاً عـــاقلاً، ويـــرى الفضـــل الكبير الذى أعده الله للناشرين لدين الله، ويبعد نفسه عن هذا الفضـــل إن كان بدنيا أو بمكاسب أو بمناصب أو بغيره؟ كيف هذا؟

أى امرئ عنده أدنى عقل عندما يرى الفضل الكبير الذى جـــهزه الله للدعاة، والجمال العظيم الروحانى الذى يتمتـــع بـــه الدعـــاة فـــى أرواحهم، والذى يقول فيه سيدنا الجنيد رضى الله عنه : (نحن فى لـــذة لو يعلم الملوك ما نحن فيه لحاربونا عليه بالســـيوف) ـــ ليســـت لـــذة جسمانية وإنما لذة روحانية ـــ اللذة الروحانية التى يحيا فيـــها هـــؤلاء القوم، الذى يراهم ولم يقم ناشراً لدين الله وبائعاً نفسه وروحـــه وكلـــه للعمل على إعلاء كلمة الله، فأين هو عقله؟ وأين هو فهمه؟

لا نأخذ الكلام على ظواهره الحسية فقط ولكن علينا أن نلتفت إلى الإشارات الباطنية التى فيه التى وضحها الله عز وجل، وبينها رسول الله ﷺ، ونفذها الأئمة والسادة والقادة منذ سيدنا رسول الله ﷺ إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

فلا نريد يا إخوانى الأمور التى تنفر الناس. ما الذى ينفر الناس؟ أن يروا أحدنا داخلاً ويقوم الكل بالوقوف له، لماذا هذا؟ علينا أن نساعده، ونعاونه، ونناصره، لكن الحركات الظاهرة لا تقدم ولا تؤخر عند الله ولا عند رسول الله ﷺ .

بُغية الدعاة والمرشدون

الذى ينفر الناس أن نجلس ويمدح بعضنا بعض فى الميكروفون أو الإذاعة. ما فائدة هذا الكلام؟! وما الداعى إلى ذلك؟! نحن جميعاً أنا والذى قبلى ومن بعدى، وأنتم ومن قبلكم ومن بعدكم، وسيدنا أبو العزائم، ومولانا الشيخ محمد على سلامة، وكل الأئمة والعلماء والصحابة الأجلاء، ما الذى أتى بنا إلى هنا؟ وما هدفنا؟ الكل همهم نشر دعوة الله ورسوله.

هل هناك أحد يريد نفسه؟ كلا، بل إن سيدنا رسول الله ﷺ ماذا كان هدفه؟ نشر دين الله. والكل يقول كما قال الإمام الشافعى ــ رضى الله عنه ــ عن نفسه : (وددت أن الناس أخذوا هذا العلم عنى ولم ينسبوا إلىّ منه حرفاً واحداً)، همه أن يعرفوا هذا العلم وليس إلا.

وكذلك نحن ــ والحمد لله ــ عندما ننشر الدعوة فى البلاد، أنـنزل إلى البلاد ليمشى الناس ورائنا؟ أبداً، بل نريـــد ان نعرفـــهم المفـــاهيم الصحيحة للإسلام وللإيمان ثم بعد ذلك هم أحرار، أما من يأتى معنـــا فنقول له : أنك تأتى وتجند نفسك لتنضم إلى جيش الفتح، لنعمل علـــى نشر هذه الفتوحات، إذا كنت تريد أن تكرم نفسك، وتريد أن تعلى مـــن شأنك، أما إذا رضيت بما أنت فيه فلا حرج عليك.

فالذى يكرم لا يكرم أحداً وإنما يكرم نفسه، والذى يعلى يعلى مـــن شأن نفسه، والذى يُعز يعز نفسه، والذى يرفع يرفع من قدره عنـــد الله عز وجل، لكن لا أحد منا يستطيع أن يعلى شـــأن الدعـــوة، أو يرفـــع شأنها، لأن الدعوة هى دعوة الله عز وجل ورسوله ﷺ .

جهاد آل العزائم

فالحركات الظاهرة يا إخوانى ليس لنا حاجة إليها، لأننا آل العزائـم مهمتنا صعبة، فالناس تحارب فى جبهة واحدة أما نحن فنحـــارب فـــى جبهتين، الجماعة الصوفية يحاربون المتنطعين الـــذى ينكـــرون علـــى الصوفية الأدب مع الأولياء ومع رسول الله ومع رجال الله والجماعـــة الآخرين يحاربون الصوفية، أما نحن فنحارب الاثنين.

نحارب الصوفية الباطلة ونريد أن نعرفهم ونُظهر للناس الصوفيـــة الصحيحة فالصوفية الباطلة التى هى عبادة الأشخاص كـــالذين جعلـــوا مشايخهم أصنام يعبدونها من دون الله بالحركات والســكنات والأشـــياء

الظاهرة، نحن نقول لهم : إن الموضوع روح والجماعة الآخرين نقـول لهم : إنكم مخطئون، فليست كل الصوفية مثل هؤلاء.

فنحن نحارب على الجبهتين، وإذن لابد وأن نكون على الصـراط المستقيم. وماذا نعني؟ باختصار نكون مثل ﴿ **محمد رسول الله والذين معه** ﴾ [الآية: ٢٩، الفتح].

يقولون أنه ﷺ كان يجلس مع أصحابه، فيأتي الرجـل الغريـب الذي لا يعرفه، فلا يعرفه من بينهم إلا إذا أشاروا إليه وقـالوا : هـذا رسول الله. لكن الرجل وهو قادم من بعيد لا يعرف مـن هـو لمـاذا؟ لسكوت القوم، وأدب القوم، وحياء القوم من رسول الله ﷺ، فـالرجل لا يعرف هذا من ذاك، الكل سواسية كأسنان المشط.

وكان رسول الله ﷺ يحاول دائماً أن يهرب من هـذه المظـاهر الفانية، تارة يتقدم أمامهم ويمشون خلفه، ومرة يقدمهم للأمـام ويقـول لهم: خلوا ظهري للملائكة ويمشي هو ورائهم، ليعرفنا أن الأدب ليـس في الحركات والسكنات، وإنما الأدب في طاعته ﷺ .

هذه بعض الآداب التي نريد جميعاً أن نراعيها لأننا نريد أن ننشـر الخير، وما دمنا كذلك فيجب على كل واحد منا أن يتغاضى عمـا لـه عند إخوانه في سبيل نشر دين الله، فلا أحد يطالب أحداً بـالاحترام، ولا أحد يعاتب أحد على عدم الاحترام، لأن الكل همه احـترام كتـاب الله، واحترام سيدنا ومولانا رسول الله، واحترام العمـل الرافـع الموصـل لمراضي الله عز وجل.

اتفقنا على هذا إن شاء الله يا إخوانى؟ لأننا لا نريد هذا المظاهر أبداً. حتى السلام الذى نسلمه على بعضنا البعض فإذا زرت أخاً لى فى مكان عمله، فالواجب أن لا ألفت أنظار الناس إليه ولا إلىّ فليكن السلام عادياً، وكذلك فى المواصلات العامة لا نلفت أنظار الناس إلينا ونجعلهم يتساءلون لماذا نفعل هذا ؟

حتى إذا زرت أخاً لى فى بيته وأتى له ضيف من أهل الدنيا، فعلى الفور أتمثل بأحوال أهل الدنيا حتى لا ألفت أنظار هؤلاء الناس وأجعلهم يعترضون أو ينتقدون، فإن من يعترض أو ينتقد على أحوال الصالحين يتعرض لغضب ومقت الله، ومن السبب فى ذلك؟ أنا السبب له فى هذا الأمر لأننى أظهرت لهم ما لا يطيقون، فإن من أظهر ما لا يطاق أوقع غيره فى النفاق.

ليس ما لا يطاق فى الكلام فحسب، وإنما ما لا يطاق من أخلاق العارفين، وما لا يطاق للحاضرين من الأدب مع الحكماء الربانيين، لأنه يوقع الناس ـــ الذين هم من أهل الظاهر ـــ فى الغيبة. كذلك ما لا يطاق من سنن الدعوة الإلهية مع المبتدئين، أناس مبتدعون، وهو يريد أن يظهر لهم أحوال القوم المنتهين، فسيوقع هؤلاء الناس فى لبس لكن لكل مقام مقال، ولكل سر وحال رجال.

أناس عوام فنحاول أن نخرجهم بالهوينى، وبالرفق وباللين إلى الأدب العالى مع الصالحين، كيف ذلك؟ نأخذهم بالتدريج، يكفى أن

أعلمهم أدب الحديث، كيف يكون ذلك؟ عندما نجلس مع العـــوام هــذا يتكلم وهذا يتكلم وآخر يتكلم، ومن الذى يسمع؟ لا أحد. فنقول لهم: مــن السنة أن واحداً فقط هو الذى يتكلم والباقى يستمع هذا هــو الأدب الأول الذى يجب على أن أعلمهم إياه. كما كان يفعل سيدنا أبو بكر رضى الله عنه وأرضاه، وليس القيام والوقوف.

فعندما كان يأتى أحد ويريد أن يدخل علـــى حضــرة النبـــى ﷺ يتلقاه ويعلمه كيف يدخل؟ وكيف يجلس؟ وكيف يتكلــم؟ يعلمــهم هــذه المبادئ أولاً، أن يدخل ولا يحيى بتحية الجاهلية ــ صبــاح الخــير أو مساء الخير ــ وإنما يسلم بتحية الإسلام : السلام عليكــم ورحمــة الله ويجلس بأدب وبخشوع ووقار، ولا يرفع صوته فوق صــوت حضــرة النبى، بل ينصت ولا يتكلم إلا إذا أذن له رســول الله، هــذا هــو أدب الحديث الذى كان يعلمه له سيدنا أبو بكر.

آداب المجالس

وهذه هى الآداب التى يجب أن نعلمـــها لأهــل البدايــات، وهـــى مطلوبة لأى مجلس من مجالس المجتمع، وليس لمجـــالس الصـــالحين فقط، بل أى مجلس من مجلس العلماء أو حتى مجالس أهل الدنيـــا، أو مجالس السياسة.

ما أدب المجلس؟ فرد يتكلم والباقى يستمع، فلا لغط ولا غاغـــــة، ولا رفع صوت، وإنما يكون هناك كبير للقوم، والكل يخشع لصوتـــــه، أليست هذه هى آداب المجالس؟

هذه الآداب هى المفروض أن نعلمها للعوام، هذه ناحيـــة، ومـــن ناحية أخرى أحد الجالسين يرى أنه عالم كذلك أترك له الفرصة حتـــى يفرغ ما عنده ثم بعدما ينتهى سوف يسمع، لكن كلنا يغضب ويقول فـــى نفسه كيف يتكلم مثل هذا ؟ إنه إذا لم يتكلم ويقول ما عنده لـــن يســـمع شيئاً أبداً لأنه جالس ومجهز ما يقول وما يعيد فبعدما يُفْرِغ مـــا عنـــده سوف يستعد للسماع.

والصالحون عارفون، فهذا كدمل جاهز للتفجير، فيفجر ويصفـــى ما فيه ثم يداويه، كيف يعالجه وهو ممتلئ بالصديد والقيح؟! هل ينفـــع العلاج؟ لابد أن تصفى ما فيه ثم تأتى مرحلة العلاج، أنـــت تغضـــب وتقول كيف يتكلم هذا؟ إنهم أطباء وليسوا مجرد علماء، وهناك فـــرق بين العلماء والأطباء، الطبيب يداوى. كيف يداوى؟ يفتح الجـــرح أولاً، ثم يصفيه وينقـــيه، وبعد ذلك يضع له العلاج، لكن إذا وضع العـــلاج على الظاهر لا يؤثر هذا العلاج فى شئ.

فنحن ليس لنا شأن بهذه الأحوال، كما يحدث من بعض إخواننا إذا قام أحد الجالسين ويريد أن يتكلم، يقوم من المجلس، أو يتلفظ بكلمة، أو يظهر تأففاً، الناس تأخذ هذه الأمور علينا، والصغـــيرة منـــا يعملوهـــا كبيرة. ماذا نفعل؟ ليس لك من الأمر شئ.

دع الأقدار تجرى فى أعنتها ولا تبيـــتن إلا خالى البـــال

تجلس ساكناً خالى البال، وتثق تمام الثقة أن ما يريده الله هو مـــا يحدث فى حضرة العارفين بالله، وهم يعلمون تمام العلم أن الأقدار هـــى

التى تفعل فى مختلف المراحل والأطوار، فالذى يتكلم إنما هو منساق إلى ذلك، والذى يجلس ساكتاً كذلك هم الذين أسكتوه فليس لهم شأن لأنهم لا يتحركون ولا يتكلمون إلا بإرادة وإذن من الله عز وجل.

فإذا كنا فى مجلس مثل مجلسنا هذا، ويأتى إنسان ويقطع المجلس بسؤال، أريد من إخوانى أن يكظموا الغيظ، فلا أحد يُظْهر على وجهه التضجر أو التبرم، ولا يقوم من المجلس ليشعر السائل بأنه متضايق منه وكأنه يقول له : قم من هنا. لماذا كل هذا؟! نحن نظهر للناس الآداب العالية، والأخلاق الراقية.

الأطباء هل يفتحون عياداتهم للأصحاء أم للمرضى؟ أليس للمرضى ويعرفون أن الذى يأتى إنما هو المريض وقد يتطاول المريض على الطبيب بالسباب، وقد يشتمه، وقد يضربه. ماذا يفعل الطبيب؟ أيضرب المريض كذلك؟ لا إنه يعرف له عذره، إنما هو يتحمله ويتحمله، حتى يتم العلاج والشفاء.

فما لنا نحن وهذا الأمر؟

نحن نفعل مثل أصحاب الرسول ﷺ ، فقد كانوا يسكنون ولا يتحركون، وكانوا كما يقول الله ﴿ **وخشعت الأصوات للرحمن فلا تسمع إلا همسا** ﴾ [الآية: ١٠٨، طه]. فليس لأحد شأن بهذا الأمر. وكان إذا جاء سائل يسأل والسؤال غير لائق، يقول فى نفسه: لماذا تغضب منه وقد كنت كذلك فى جاهليتك الأولى بهذه الشاكلة؟ فأنت

تحمد الله أن هداك، وأدبك بالأدب الواجب مع الصالحين ومع العلماء العاملين، فيعرف فضل الله عليه، ويعرف نعمة الله إليه عندما يرى هذا الجاهل وما تفضل به عليه وأصبح من العلماء العرفاء الحكماء والحمد لله قد تجاوز هذه المرحلة.

فأنت فى البداية كنت تغضب عندما يتطاول أحد الحاضرين عليك، فلماذا تفعل ذلك مع غيرك من الناس؟ هل لأنك أصبحت ممرضاً أو باشتمرجياً فتطاول على المرضى؟ دعهم مع الطبيب وأرح نفسك أنت. وكذلك كان يقول رسول الله ﷺ عندما يأتى الرجل قائلا : يا رسول الله إإذن لى فى الزنا؟ فقام إليه الناس وأرادوا أن يضربوه كلهم، فقال لهم: دعوه لىّ، وقال له : تعالى أتحبه لزوجتك؟ قال: لا. قال: كذلك الناس لا يحبونه لزوجاتهم. أتحبه لأمك؟ كذلك الناس لا يحبونه لأمهاتهم. أتحبه لإبنتك؟ كذلك الناس لا يحبونه لبناتهم، أتحبه لأختك؟ كذلك الناس لا يحبونه لأخواتهم.

وبعد ذلك وضع يده النورانية ــ وليست الظاهرية فقط ــ على فؤاده وضع الظاهرة لكن النورانية هى التى تؤثر فيه، وقال : (اللهم طهر قلبه وحصن فرجه). قال الرجل: فما رفع يده وانتهى من دعائه حتى صار ما هناك أبغض إلى من الزنا. الزنا الذى جاء يستأذن له!!! لو تركه مع الناس (التمرجية) لفر الرجل وظل على ما هو عليه، لكنه ﷺ قال لهم : دعوه وشأنه.

وهكذا كان أمر رسول الله ﷺ وكذلك العارفون بالله لأن العـارفين مثل الأطباء يعالجون الجهلاء، ويعالجون مرضى النفوس، وما أكـــثر أمراض النفوس وأمراضها أكثر من أمراض الأجســام وأعتــى منـــها آلاف بل ملايين المرات، وتتطلب صبراً طويلاً،وحلماً جميلاً، وســـعة صدر يسع الخلق أجمعين. حتى يسع كل هؤلاء المرضـــى ويعالجـــهم، لأنه ليس هناك علاج لهم إلا بالرفق واللين، فلا ينفع فيـــها الشـــدة ولا ينفع فيها القسوة، ولا ينفع فيها المؤاخذة، لا ينفع فيها إلا الرفق واللـيـن، وهذا هو ما يطيب قلوب المريدين ونفوس السالكين.

فالأمر يتطلب الصبر، ونحن نعود أنفســنا قبـل أن نجلـس فـــى المجلس، على أن كل منا يرتدى جلابية الصبر ﴿ **واصبر نفسك مـــع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهـــه ولا تعـد عينــاك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا** ﴾ [الآية: ٢٨، الكهف]، فلابد أن نجـــهز أنفسنا لمثل هذه الأحوال، وهـــذه هى بعض الآداب التـــى أريـــد مـــن إخوانى أن يتحلوا بها فى المجالس العامة وفى الأحوال العامة.

صدق النية

أما الآداب الخاصة، فرأسها وأهمـــها، وعلـــى ذروة ســنامها، أن تروض نفسك أن لا تعمل عملاً إلا إذا كانت فيه نية صالحـــة لله عـــز وجل، لأنه ليس لك من جزاء على العمل إلا إذا كانت فيه نية خالصـــة لله عز وجل. فلو عملت عملاً من أجل أن ترضينى أو ترضى فلانـــاً،

أو من أجل أن ترضى أخاك أو أمك أو زوجتك أو خلافه لكنك لا تريد به وجه الله، فقد حبط هذا العمل وأنت لا تشعر، ولا تجده يوم لقاء الله عز وجل.

فنحن نعود أنفسنا أن لا نعمل عملاً، صغيراً أو كبيراً، إلا إذا كانت فيه نية خالصة صادقة لله. وإذا كنت لا أستطيع أن استجمع النية فلابد أن أعرض نفسى بصدق ويقين على أخ لى سبقنى فى الطريق إلى الله عز وجل، ولا أدارى عنه شيئاً، حتى يسدى لى النصيحة، ويعرفنى الطريقة الصحيحة التى أخرج بها من هذه العقبة (المطب).

لكن نفسى قد تضحك علىّ وتقول لى: دارى وخلاص، وهذا لا ينفع، فالمداراة تكون مع السفهاء — وهى من أخلاق الأنبياء وليست من أخلاقنا، وقال فيها: **(داروا سفهاءكم)**. هل ينفع يا أخوانى داروا علماءكم؟ أو داروا حكماءكم؟ أو داروا عرفاءكم؟ لا ينفع. لأنى أنا هنا إنما أضحك على نفسى، وعندها أدخل فى قول الله ﴿ **يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون** ﴾ [الآية: ٩، البقرة] لذا لا تنفع المداراة مع هؤلاء القوم أبداً.

وقد يقول أحدهم : إننى أريد أن أمتحنه هل يعرف ما بداخلى أم لا؟ وقد يحدث مثل هذا، النفوس فيها مثل هذا أنت الذى تمتحنه أم أنه هو الذى يمتحنك؟!

إذا كنت تريد أن تمتحنه فأنت لست من أهل الطريق بعد، لأن الإخوان الصادقين لا يشكون، ولا يجربون، ولا يخادعون، ولا

يغترون، ولا يجترئون على الخروج عن الآداب مع الله عــز وجــل، ومع رسوله ﷺ، ومع العلماء الربانيين والحكماء الروحانيين.

لا يصح أن أجرب ـــ حتى التجربة مع الله عز وجل لا تنفـــع ـــ لأنه ما زال عنده شك وأساس انتفاع المريد من شـــيخه العقيـــدة، وإن اهتزت العقيدة فلا يوجد انتفاع لأن المريد يحرم بركة الانتفاع. فلو كان شيخى شيخاً للوجود كله، لكننى معتقد أن مشيخته صغيرة، فلا أنتفع.

إذن فالانتفاع من أين يأتى؟ الباب عندك أنت، البحر على الـــدوام جارى، والأمواج متدفقة، لكن الذى يريد المياه يعمل لنفسه طريـــق أو قناة، أو موتور، أو غيره، يأخذ منه ما يريد، وليس البحر هـــو الـــذى يعمل له هذا، فالسكة هذه منك أنت.

اعتقدت فيه، ورأيته أمامى لا مثيل له، ولا نظير له ـــ وهو رجــل متواضع ليس عنده شئ مثلى ـــ ورد فى الأثر (من اعتقد فـــى حجـــر نفعه رب ذلك الحجر) لماذا؟ بعقيدته.

فأساس الطريق يا أخوانى العقيدة السليمة بين المريد وبين شـــيخه. وإذا ظن أنه على النهج الحسن لكنه قال فى نفسه : ربما يكون هنـــاك من هو خير منه وما على إلا أن أبحث هنا وهناك، فمثل هذا لم يســتقر بعد، لأنه ما يزال يبحث عن مدرسة يقدم فيها، فكيـــف ينتفـــع؟ ومـــا سينتفع به!! فقد قال الإمام الشعرانى رضى الله عنه وأرضاه : (كمـــا أن الله عز وجل لا يحب أن يشرك به أحد فكذلك العارفون لا يحبـــون أن يشرك المريدون فى قلوبهم حب أحد)، هذا هو شرط الانتفاع.

الحب العام، لا شئ ولا حرج فيه، فنحن نحب الكل، لكن الحــــب الخاص يكون لواحد فقط، لأنه لا يصح أن يُعالج المريض من ثلاثــة أو أربعة أطباء ـ كلهم أساتذة فى الجامعة، وهو كذلك ـ لكـــن اســتعمل روشتة من؟ واحد فقط.

حتى فى الطب الظاهر، أعظم طبيب فى العالم وأنا لا أثــق فيــه أأشفى على علاجه؟ أبداً. ورجل طيب متواضع للغاية ولكننى أثق فيــه أأشفى على يديه أم لا؟ الطب كله يا إخوانى مبنى على الثقـــة، فـــالذى أثق فيه هو الذى ينفعنى الله على يديه، ويأتى لى بالشفاء على يديه.

باب الصـــدق

فشرط الانتفاع بين السالك والعارف الاعتقاد. فالاعتقاد هو البـــاب الذى تأتى منه الواردات الرحمانية، والتجليات النورانيـــة، والفتوحـــات الربانية من قلب العبد الصالح إلى قلوب وصدور المريدين والســـالكين، سر قوله صلى الله عليه وسلم: **(ما صُبّ فى صدرى شئ إلا وصببتـــه فى صدر أبى بكر)**. كل الذى ينزل هنا، أنزله هنا. لمـــاذا؟ لأن الأمـــر هكذا **(لو وزن إيمان هذه الأمة** ـ الأمة التى كـــانت فـــى زمانـــه ـ **بإيمان أبى بكر لرجح إيمان أبى بكر)**.

فلكى انتفع مثل هذا الانتفاع فلابد أن أكون فى درجـــة الصديـــق، وفى مكانة الصديق من العقيدة والإيمان. لماذا سمى بـــالصديق؟ لأنـــه صدق بكل شئ، ولما جاءوا يشككوه، قال لهم: لماذا تشـــككونى؟ إنـــى

لأصدقه فيما هو أبعد من ذلك، أصدقه فى الخبر الذى يأتيه من فـــوق العرش إلى الأرض فى لمح البصر، أفلا أصدقه أنه أتى مكان كـــذا أو كذا!! فأنا مصدق على الدوام ولذا قال الإمام أبو العزائم ﷺ :

والصدق سلم للوصال ومنزل يرقى به الصديق أرفع رتبة

ما سلم الوصال ؟ الصدق.

وما باب الدرجات العلية؟ الصدق والتصديق على قدم الصديق.

والله عز وجل جمع هذا الأمر فى كلمتين ﴿ **والذى جاء بـالصدق وصدق به أولئك هم المتقون** ﴾ [الآيـــة: ٣٣، الزمـــر] الـــذى جـــاء بالصدق، وصدق به أهو مفرد أم جماعة؟ لكن الآية أعطتنا معنى فريدا وعجيبا، فلم تقل هو من المتقين. فالذى جاء بالصدق هو سيدنا رســـول الله والذين صدقوا به قال ﴿ **أولئك هم المتقون** ﴾. لكنه أزال الفجـــوة بينهم لأنه لم يعد بينهم بين.

لأنه لا يصح الحـــب بين اثنين حتى يقول أحدهما للآخر يـــا أنـــا حتى تزول الفروق، وينمحى البين، وينتهى الغيـــن، ويرتفـــع الريـــن والحجاب، ولا يبقى بينهما إلا نسب الله عز وجـــل، والـــهدى والتقـــى والعفاف. فلم يعد بينهما فروق، فجمع الاثنين وقـــال ﴿ **أولئـــك هـــم المتقون** ﴾، وقصر التقوى على هؤلاء القوم الذين كانوا علـــى عتبـــة التصديق للنبى الرفيق ﷺ .

فعندما يأتى أحد ويقول : بقى لى كم سنة ولم أر شيئا، ويأتى آخر حديث عهد ويروى رؤية من الرؤيات الصالحة، أو مشهد من المشاهد المباركة، فيقول كيف يرى هذا وأنا لم أر مثل ذلك؟ نقول له : لا تلومن إلا نفسك، **(ليس الطريق لمن سبق إن الطريق لمن صدق)**. أتى اليوم وصدق، وأنت لك ألف عام بدون صدق.

ألف عام بغير الصدق مع باب التهامى، هى نفس بشرى لأهل السماح، ونفس واحد مع الصدق خير من ألف عام مع العبادات والمجاهدات، والمكابدات الفادحات التى يفعلها الإنسان من غير إذن إو إشارة من باب الله عز وجل، لأنه عندما يأذن لك فإنه يفتح لك الطريق على التحقيق.

إذن فرأس الأمر للسلوك إلى الله عز وجل — يا إخوانى — أن يخلص الإنسان النية، ويصفى الطوية، ويحسن الظن واليقين. يحسن الظن واليقين بعد إخلاص النية وصفاء الطوية فى شيخه وإخوانه، حتى لو رأى من بعض إخوانه شيئا لا يوافقه ولا يعجبه ينبههم إليه برفق ولين فيما بينه وبينهم، وليس على الملأ.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.



الفصل الرابع
محيط الكمالات

- معجزات الأنبياء.. بعض معجزاته ﷺ .
- كرامات نوابه وورثته ﷺ .
- محيط الكمالات.
- الذين معه ﷺ .



محيط الكمالات(*)

الحمد لله على فضله العظيم، والشكر على كرمه العميم، أن أيقظنا وفكرنا بهذا النبى العظيم، صلوات الله وسلامه عليه. فلو مكث الواحد منا — يا إخوانى — ساجدا على الجمر، من بدء الدنيا إلى آخرها، شكرا لله عز وجل على أن جعلنا من أفراد هذه الأمة المحمدية، لما استطاع أن يؤدى بعض الواجب علينا لله عز وجل، نحو هذه النعمة العظمى، والرحمة الكبرى، صلوات الله وسلامه عليه.

اللهم صلى وسلم وبارك على محيط الكمالات، ومنبع الجمالات، ومظهر الفيوضات والإلهامات، ونبع الحنان والشفقة والرحمات لجميع الكائنات، التى أوجدها الله منذ بدء الحياة إلى يوم الميقات.

أما بعد : فيا إخوانى علمنا قبل الصلاة، أن سيدنا محمد ﷺ هو المحيط الأعظم للكمالات الربانية، وهو الجامع لجميع المكارم الإنسانية، وهو الكنز لجميع الخيرات والأعطيات والنفحات الإلهية والرحمانية.

ولو نظرنا فى كمالات الأنبياء السابقين، نجدها بعض كمالات سيد الأولين والآخرين ﷺ.

(*) كان هذا الدرس فى احتفال الجمعية العامة للدعوة إلى الله بذكرى المولد النبوى الشريف بمسجد الأنوار القدسية بالمهندسين بالقاهرة يوم الخميس ١٢ من ربيع الأول ١٤١٢هـ الموافق ١٩٩١/٩/١٩م.

وكل آى أتى الرسل الكرام بها فإنما اتصلت من نوره بهم
فإنه شمس فضل هم كواكبها يظهرن أنوارها للناس فى الظلم

كل معجزة فريدة ووحيدة، اشتهر بها نبى من الأنبياء السابقين، فإنما هى بعض معجزات سيد الأولين والآخرين، ولو نظرنا فى هذه المعجزة الفريدة، نجد أن هذا النبى لم يدرك فيها رسول الله ﷺ فى هذا الباب. أما فى جميع أبواب المعجزات الإلهية، فهذا مطلب عجزت عنه جميع الأرواح العلية.

فمبلغ العلم فيه أنه بشر وأنه خير خلق الله كلهم

الكل يقف عند هذا الجمال حائرا، والكل يقف عند هذا الجمال العظيم مبهورا، مما يرى فيه من أنوار وأسرار، لا يطلع عليها إلا الأبرار، الذين نقاهم وصفاهم وقربهم إليه العزيز الغفار عز وجل.

معجزات الأنبياء بعض معجزاته ﷺ

فلو أخذنا معجزة بعض الأنبياء بالترتيب : معجزة سيدنا نوح عليه السلام كانت السفينة التى تسير على الماء، فالسفينة تسير على الماء — من غير حاجة — لأنها مجهزة لذلك، لكن الحجر كيف يسبح على الماء؟ فليس مجوفا، وليس خفيفا، وليس مرجانا، وليس له مجاديف، فلا يصلح أبدا فى هذا الشأن.

ولكن حتى يظهر الفارق بين المثل الأعلى ﷺ وبين سيدنا نـــوح عليه السلام، ظهر لما أشار للحجر وجاء يسبح على سطح الماء حتـــى أنه ليس هو ﷺ الذى أشار له، وإنما قال للصحابى اذهب وقل له يأتى، فسبح الحجر على الماء، حتى وصل إلى سيد الأنبيـــاء ﷺ ، حتـــى إذا أخذ حظه من الرحمة الإلهية، ومن العطايا الرحمانية، قال له : ارجـــع ثانية، فرجع إلى مكانه.

سيدنا موسى عليه السلام ماذا كانت معجزته؟ العصـــا، والعصـــا كان يشير بها إلى عصيهم وحبالهم فبلعتها كلها فى الحال، ولكن هـــذا كله كان خداعا من السحرة ﴿ **يخيل إليه من سحرهم أنـــها تســـعى** ﴾ [الآية: ٦٦، طه].

رسول الله ﷺ لما ظهر فى المدينة المباركة، واليهود أتقنوا كـــل فنون السحر، وعملوا كل ما فى وسعهم، فأحدث لهم أية واحدة بســـيطة جدا أفسدت عليهم كل سحرهم، من زمانه وأوانه إلى يوم القيامة. مـــاذا فعل؟ جعل الشمس بعدما غابت أشار إليها فظهرت مرة ثانيـــة ورآهـــا الناس كأنها فى ساعة العصر، تغير الزمن لكن فى وقتنا الحـــالى كـــل الموجود حاليا أوهام وحيل يضحك بها السحرة على الناس، لكن أيـــن السحر الذى كان موجودا من قبل، انتهى من زمن رسول الله ﷺ .

العصا، يضرب بها الحجر الذى كان يحمله معه، يتفجر منه اثنـــا عشرة عينا، يشرب منها قومه، ولا غرابة من ذلك، فإنه شئ طبيعـــى

أن يخرج الماء من الحجر، لكن الماء يخرج من الأعصـــاب والأوردة، حتى أصبح كل إصبع من أصابع رسول الله، عينا يجرى بالماء. مـــن أين أتت بالماء؟ فليس هناك إلا الشرايين، وأوردة ودم، ولحم ودهـــون، وغيره!!

هذا هو الإعجاز الذى فاق فيه رسول الله ﷺ سيدنا موسى عليـــه السلام، وليس بوسعنا أن نقارن بين هذا وذاك.

المعجزة التى أظله الله بها ــ كان يجعل السحابة تمشى معه وفوق رأسه ــ بعد النبوة حتى تقيه حر الشمس وهو فى صحراء سيناء مـــع قومه. هذا الكلام كان مع رسول الله ﷺ قبل النبوة، ولم يكلف بعد، ولم يبعث، ولم ينزل عليه جبريل.

كرامات نوابه وورثته ﷺ

وكل هذه المعجزات أجراها الله على أيـــدى أحبابـــه وأصحابـــه، ونوابه وأوليائه من بعده ﷺ، إكراما لهم حتى يكونوا كما قال ســـيدى عبدالقادر الجيلانى رضى الله عنه : (معاشر الأنبياء: أوتينـــا مـــا لـــم تؤتوا، وإنما كان لكم اللقب). فكل الذى أخذتموه أخذناه ببركة رســـول الله ﷺ .

سيدى أبو الحسن الشاذلى رضى الله عنه، لما أمره رسول الله ﷺ أن يهاجر من تونس إلى الإسكندرية وقال له : يا أبا الحسن انزل إلـــى مصر فإن لك بها شأنا، وستربى بها رجالا. وأعطى له الكشف، فـــلان

وفلان وفلان، كم عددهم؟ أربعون رجلا من الأفراد. قال له: يا سيدى الحر شديد، والطريق ليس به ماء. أنظر إلى مدى الدلال مع رسول الله!! قال: سنظلك ما دمت سائرا فى الطريق، وكلما عطشت أنزلنا لك الماء. فمشى والسحابة تظله حتى وصل إلى الإسكندرية ــ وهذا ولى من الأولياء، وليس نبيا من الأنبياء، وكلما عطش نزلت السماء بالماء، فيملأ هو ورفاقه السقاء، ويشربون ويسقون دوابهم، حتى وصلوا إلى الإسكندرية بإذن الله.

وغيره وغيره كثير، ولكننا نذكر مثلا حتى نعرف أن هذه الأمور أخذها بعض الضعفاء فى أمة محمد ﷺ ، إكراما له صلوات الله وسلامه عليه.

ما غاية ما وصل إليه سيدنا موسى؟ أنه تكلم مع الله، ومن أين؟ من فوق جبل الطور، ولكنه قال له : ﴿ **رب أرنى أنظر إليك** ﴾ [الآية: ١٤٣، العراف]، قال له : لا، ﴿ **إنى اصطفيتك على الناس برسالتى وبكلامى فخذ ما آتيتك وكن من الشاكرين** ﴾ [الآية: ١٤٤، الأعراف]. لكن الحبيب ﷺ كلمه الله من فوق بساط النور، وليس هناك ملك مقرب ولا نبى مرسل، وإنما ﴿ **فأوحى إلى عبده ما أوحى ما كذب الفؤاد ما رأى** ﴾ [الآيتان: ١٠-١١، النجم].

سيدنا داود عليه السلام، كان يمسك الحديد ويثنيه فيلين فى يده ــ لا بأس هذه عملية سهلة ــ ولكن كيف يمسك الضرع الذى لم يسبق له أنه افتتح مصنع الألبان الخاص به، لأن صاحبته لم ينزو عليها الفحل

بعد ـــ والمصنع هذا لا يعمل إلا بعد أن تحمل أنثى الحيوان، وتضـــع مولودها، فيأذن الفتاح بفتح هذا المصنع من أجل وليدها ـــ كيف لـــهذا الضرع بعد أن يمسكه رسول الله ﷺ أن يلين ويدر اللبن؟ هــذا هــو العجب العجاب!!

فعندما ذهب إلى سيدنا عبد الله بن مسعود ـــ وكـــان هـــذا ســـبب إسلامه ـــ قال له : يا غلام اسقينا (لبنا)، قال له : إن الغنم ليست ملكـى وإنما أنا أجير، قال: أعطنى شاه لم ينز عليها الفحل ـــ لم تـــزل بكـــرا بعد ـــ فأعطاها له، فأمسك ﷺ بضرعها فتفاج اللبن، ونزل اللبن بغـير حساب، فشرب وشرب سيدنا أبو بكر، وشـــرب ســـيدنا عبـــد الله بـــن مسعود، ثم أشار إلى الضرع فقلص وعاد كما كان. هذه هى المعجزة!! وهذا هو الإعجاز!!

سيدنا سليمان عليه السلام، قال أريد ملكا لم تهبه أحدا من قبـل ولا تهبه لأحد من بعدى، قال: كذلك، الملك أمر سهل، **(إن الله يعطى الدنيا من يحب ومن لا يحب ولا يعطى الآخرة إلا لمن يحب)** إلا لمن يعنـــى؟ إلا لرسول الله ﷺ لأنه هو حبيب الله.

الدنيا سهلة، لكن الآخرة.. الشفاعة.. المقام المحمـــود.. الحـــوض المورود.. اللواء المعقود.. والكرم والجود من غير حدود.. كله هنـــاك لمن؟ لسيد الوجود ﷺ . حتى أن من يريد أى كرم من الكريم، لا ينالـه إلا عن طريق عبدالكريم الأول ﷺ، حتى الأنبياء عليـــهم الســـلام ـــ فالذى يريد منهم إكراما يذهب إلى من؟ إلى رسول الله ﷺ .

وأنت باب الله أى امرئ   أتاه من غيرك لا يدخل

لا أحد، من السابقين ولا من اللاحقين، يدخل إلا من طريق رسول الله ﷺ .

والباب طويل، ولو أخذنا فى ذكر معجزات الأنبياء وكيف أخذوهـا عن سيد الأنبياء ﷺ ، نحتـاج إلى دهر طويل ووقـت كثـير، لكـن بالأمثال يتضح المقال. ونحن ـ والحمد لله ـ كلنـا حكمـاء وعلمـاء وعرفاء، ونقيس على الأشباه والنظائر، لأن هذا من باب العلـم، أنـت تأخذ المفتاح وتفتح وتأخذ من الخزينة، لكن تأخذ الخزينة كلـها مـرة واحدة، لا يصح.

أنظر إلى خزائن الأنبياء والمرسلين، وما آتاهم الله من علم، ومـا آتاهم الله من حكمة، وما آتاهم الله من معجزات، وما آتـاهم الله مـن آيات، وما آتاهم الله من نصر وتمكين، فانسبه إلى بحار سيد الأوليـن والآخرين، وكنوز فضل الله كلها فى قبضة سيدنا محمد ﷺ . وتـأتى بعد ذلك أيضـاً كـل الكمـالات الدنيويـة والأخرويـة، والإلهاميـة والإصطفائية والإجتبائية ـ كلها من كنز الفضل الأعظم ﷺ.

فالرجال ـ كما قلت ـ الذين تلقوا هـذه الكمـالات مـن الثلـة المباركة، الذين كانوا لهم الكمالات الروحانية فقط لم يبلغ أحـد منـهم الغاية فى كمال من هـذه الكمالات، ولكن كل واحد أخذ ذرة أو قطـرة أو بعض قطرة من الكمال المحمدى فى فرع من الفروع، وفى فن مـن الفنون.

لكن الكمالات الروحانية المحمدية، كانت موزعة على مائة وأربع وعشرين ألف نبى، كل نبى منهم أخذ قبسا من تلك الكمالات المحمدية، فلم تجمع تلك الكمالات إلا فى رسول الله ﷺ ، وكل واحد منهم أخذ قبسا منها، ورجعت الحقائق إلى بحرها كما ترجع المياه إلى مستقرها.

الشمس يسلطها الله على البحر الأعظم، فتبخر منه ما يحتاجه أهل الزمان، ويرتفع إلى سماء العصر، وتسوق الملائكة السحب إلى جبال نزولها، وإلى مهبط أوديتها، ثم تنزل فينتفع بها الأناس والنباتات والحيوانات، والباقى يرجع إلى البحر مرة أخرى.

محيط الكمالات

رجعت تلك الكمالات إلى سيدنا رسول الله ــ محيط الكمالات ــ الأعظم فوزعها على من حوله، ومن أجل ذلك لم ينتقل إلى الرفيق الأعلى إلا بعد أن كمل عدد الروحانيين من حوله إلى مائة وأربع وعشرين ألف، كل واحد منهم ارتدى حلة نبى من الأنبياء السابقين، وكل واحد منهم أخذ كمال رسول من الرسل السابقين، وكل واحد منهم كان على قدم نبى من الأنبياء السابقين، رضى الله عنهم وأرضاهم أجمعين.

فمائة من الآلاف عشرون بعدها ... مشارب رسل الله بالإجمال

فلى قد تجلت، بل وفى قد انجلت ... فسلم لنا تحظ بخير وصال

كل هذه الكمالات وزعــها علــى الموجوديــن، هــذه الكمــالات الروحانية فقط، فما بالكم بالكمالات النورانية؟ والكمــالات اللاهوتيــة؟ والكمالات الرحمانية؟ والكمالات العظموتية كمالات لا نهاية لها، حتــى أن الذى وصل إليه رسول الله ﷺ فى أى فن من الفنون الظاهرة، فإنــه أيضا هو المثل الذى يجب أن يحتذى.

فالذى يريد أن يبلغ الغاية فى التجارة ماذا يفعل؟ يفعل كمــا فعــل التاجر الأول ﷺ . عندما ذهب ليتاجر للسيدة خديجة رضى الله عنــها، ذهب ومكث نصف الساعة فى السوق، فباع كل مـــا معــه وبعشــرة أضعاف وعاد، والذين كانوا معه لم يعرضوا بضاعتهم بعد!!

كيف ذلك؟ هذا كنز من الكنوز، والذى يريده يطلبه من رسـول الله ﷺ . ينظر إلى رسول الله التاجر، كيف كـــانت صفاتــه، معاملاتــه، شكله، نظامه، فيفاض عليه كما أفيض على ابن عوف رضى الله عنــه، حتى قالوا فيه : لو تاجر فى تراب لربح فيه ذهبا!! لأنـــه تعلــم مـــن الأستاذ الأول فن علوم التجارة، أخذ هذا الفن من مصدره الأصلى، من منبعه الحقيقى ﷺ .

الذى يريد أن يبلغ الغاية فى الزراعة، كذلك عندمـــا أراد سـيدنا سلمان الفارسى أن يصبح حرا قال الذين يملكونه مـــن اليــهود : لنــا شرط. ما هو ؟ قالوا: تدفع لنا أربعمائة نخلة كلهما تثمر والنخل غـــالى فى المدينة، كيف يحصل عليها؟ قال له النبى ﷺ : أطلب من إخوانــك الأنصار أن يأتوا بأربعمائة فسيلة نخل صغير، وإياكم أن يــزرع أحــد

شيئا إلا بعد أن أزرع أنا أولا، حتى أعلمكم كيف تزرعون فن الزراعة الذى لم يصل إليه أحد من السابقين ولا اللاحقين، لا يصل إليه إلا المؤمنين. يتعلمون ممن؟ من سيد الأولين والآخرين.

جهز الفسائل، وجهز الذريعة، وجاء سيدنا رسول الله ﷺ وزرع النخل كله، ما عدا واحدة كان قد زرعها سيدنا عمر رضى الله عنه، أحب أن يتعلم لكنه لم يكن قد وصل إلى المستوى المطلوب، لكنه والحمد لله وصل بعد ذلك.

فى نفس العام، الثلاثمائة والتسعة والتسعون نخلة كانت قد أثمرت الذريعة تأخذكم حتى تثمر يا إخوانى ؟ سبع سنين ؟

ذهب إلى اليهود، قالوا: نحن نريد أربعمائة.

رجع إلى رسول الله، فقال له : هل زرع أحد غيرى؟

فقلعها وزرعها ثانية فأثمرت فى الحال.

إنه فن الزراعة الذى علمه له الله فى قول الله ﴿ **أفرءيتم ما تحرثون أأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون** ﴾ [الآيتان: ٦٣، ٦٤، الواقعة] كأنه قال من يريد أن يصل إلى هذا المستوى يجتهد حتى يصل إلى مقام (**كنت يده التى يبطش بها**). فاليد التى تزرع ليست هذه اليد، فالذى يزرع ينبت فى الحال!!

ولو كانت العقول والأجسام تتحمل، كان بوسعه أن يجعله كزرع الجنة الذى يقطف ويثمر غيره، لكن العقول لا تتحمل هذه الأحوال، قال : كفى عليكم الأمر عند هذا الحد.

الذى يريد أن يكون مدرسا ناجحا، ينظر إليه ﷺ . فالذى لديه تلميذ مشاغب فى فصله، يسبب له متاعب، ويجعله يصاب بالضغط ولا يستطيع السيطرة عليه، كيف كان يجلس الحفاة الجفاة الغلاظ ـ الذين عجز الكل عن أن يسوسهم، لا كسرى ولا قيصر ولا غيرهما ـ ويجعلهم يجلسون كأن على رؤوسهم الطير!! هذا هو فن التدريس، فلا يصدر منهم حتى الهمس!! كيف كان هذا؟ هذا ما نتعلمه من رسول الله ﷺ .

حتى أنه ﷺ كان يعلمهم الكتابة، ويقولون أنه ﷺ كان لا يستطيع الكتابة، فكيف كان يعلم الكتابة؟!! كان يقول لأحدهم : أمسك القلم بيمينك وكبر الباء كان لا ينام أحد منهم أو يسهو فى الدرس، لماذا؟

إذا نظرتم إلى الطرق التربوية التى كان ينتهجها عجيبة وغريبة، مرة يسأل سؤال ليلفت أنظارهم ومرة يأتى بفزورة (شجرة تشبه المؤمن) ما شكلها؟ ما اسمها؟ لماذا؟ حتى يشغل فكرهم ويدربهم فهذه هى الرياضة العقلية التى تشغل الذهن وتنمى الفكر، ومرة يأتى لهم بمعلومة تاريخية، ومرة.. ومرة.. لا يتعلمها إلا كمل الرجال، ومن أين؟ أين هى الطرق التربوية التى تعلم هذا الأمر؟ لا يوجد إلا الطريقة التربوية النبوية، التى يستقيها العبد المؤمن من خير البرية ﷺ .

حتى فى الحرب علم القادة كيف ينتهجون الفنون الحربية، التى لم تظهر على حقيقتها إلا من الحضرة المحمدية. كيف يكون واحد مهزوم فى معركة حربية ويجمع الجنود ويقول لهم : هيا بنا وراءهم وذلك فى

معركة أحد عندما جمع الباقين وقال لهم : هيا بنا وراءهم. ولما سمع الكفار بذلك، تهيأ لهم أن هناك مددا قد أتى لرسول الله من المدينة، فقالوا لبعضهم : هيا بنا نفر ونحفظ النصر الذى أحرزناه وظفرنا به ولا نضيعه. وماذا كان يقصد ﷺ ؟ كان يقصد أن لا يطمعهم النصر ويغريهم فيغزوا المدينة نفسها.

ومن الذى وضع الخطة وقال للرماة : انتصرنا أو انهزمنا فلا تتحركوا عن أماكنكم؟ ذاهب للغزو يورى يقول أنا ذاهب إلى المكان الفلانى، وهو ذاهب إلى مكان الغزو، ويقول : (الحرب خدعة)، هكذا نظامها. متى يغزو؟ يغزو فى الثانية ظهرا، وهى ساعة القيلولة، والجو شديد الحرارة.

وغيرها من فنون المعارك، ولكنى أذكر فقط بعض الأمثلة، والأمثلة كثيرة لمن يفتح هذه الكنوز، ولكن ليس من الكتب وإنما من باب الإلهام، ليأخذ من نبع المصطفى عليه أفضل الصلاة والسلام، ذلك النبع الصافى الذى علمه له الملك العلام عز وجل. لكن كل الذى كتب فى الكتب تدخلت فيه الأخبار، وتدخلت فيه الأهواء، وتدخلت فيه الآراء فعمت على الصافى الذى أتى به سيد الأنبياء ﷺ .

الذين معه

لماذا لا نستطيع أن نكون كالذين كانوا حوله ﷺ ؟

لأن من حوله أخذوا من النبع الصافى، لكننا نقول فلان يقول وفلان يعيد، والإغريقى يقول، والإنجليزى يقول، وحتى يأتينا بقول

رسول الله يكون العقل قد تاه. أما هم فإنهم أخذوا الصافى من رسول الله مباشرة. فمن يريد أن يكون مثلهم، عليه بالنبع الصافى من رسول الله ﷺ .

كيف يتعامل المسلم مع زوجته ؟ كيف يتعامل المسلم مع بناته؟ كيف يتعامل المسلم مع أبنائه؟ كيف يتعامل المسلم مع جيرانه؟ كل هذه البروتوكولات، المثل الأعلى والأغلى فيها هو سيدنا رسول الله والذى لا يستطيع أن يتعامل مع زوجة واحدة تقول كتب السير أنهن كن أحد عشر، حتى يضرب المثل الأعلى، كيف كان يتعامل مع الإحدى عشر؟ والتى منهن من قتل أباها وعمها وزوجها، حتى أن سيدنا أبا أيوب الأنصارى ظل يحرس رسول ﷺ طوال الليل، ولما سأله ﷺ عن سبب وقوفه قال له : إنها يهودية وليس لها أمان يا رسول الله، فدعا له ﷺ من أجل هذه الوقفة.

هذه الزوجة التى حصل معها كل هذا، عندما جاء ﷺ فى اللحظات الأخيرة وهو يجود بأنفاسه، ويظهر الألم، تقول له: ليت الذى بك بى يا رسول الله. وعندما تضحك باقى زوجاته ﷺ فيقول لهن : علام تضحكن وتتغامزن، والله أنها لصادقة.

كيف تكون إنسانة أبوها وعمها وزوجها ـ وقد كانت حديثة العرس ـ يقتلوا وتصل محبتها له ﷺ أن تقول له : ليت ما بك بى يارسول الله ؟!! إنه يعلمنا الدرس الأعظم، والمثل الأكرم فى معاملة النساء، صلوات الله وسلامه عليه.

خصال رسول الله، وأحوال رسول الله ــ يا إخوانى ــ هذه انبثت فى أصحاب رسول الله ﷺ حتى كانوا كل واحد منهم على قدم رسـول من رسل الله السابقين أو نبى من أنبياء الله السابقين، ومن أجـل ذلـك عندما أراد الله أن يتحدث عنه فى القرآن لم يصفه كله مـرة واحـدة، وإنما أعطى لكل عضو من أعضائه آية، لماذا؟ لأن كل عضو من هـذه الأعضاء، وكل مظهر من هذه المظاهر كان قلبه قريب من قلب رسول الله، فهذا أمر عظيم جداً، فكل فرد منهم آية من آيات الله، ولذلك قـال الله ﴿ **ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها** ﴾ [الآيـة: ١٠٦، البقرة] هؤلاء فيهم أحوال رسول الله.

حتى الصفات الحسنة والكمالات الجسمانية، فإن رسـول الله ﷺ بلغ فيها الغاية فى تناسق الأعضاء، وفـى دقـة الصنـع للأعضـاء الجسمانية الهيكلية، حتى أنه الصورة الظاهرية الأكملية التى أوجدهـا الله فى عالم المثالية. فمثلاً عيناه الظاهرة منتهى الكمـالات لصنـع الله تعالى لأعين البشرية، وفمه الظاهر صلوات الله وسـلامه هـو غايـة الغايات فى صنع الذات الإلهية للأفواه البشرية.

لكن ليست هذه الغاية التى كان يقف عندها أصحـاب رسـول الله ﷺ ، لأن وراء تلـك الكمـالات، كمـالات وجمـالات لا تظـهر إلا للروحانيين. فالكمالات الظاهرية كانت ظاهرة للكـل يراهـا الكـافر، ويراها النافر، ويراها المؤمن، صحيح أن المؤمن كـان يراهـا بعيـن إيمانية لكنها كانت ظاهرة للكل، أما الكمالات الروحانية التى فى الـذات المحمدية فإنها بغية الواصلين.

فليست بغيتى أن تكون عينى الظاهرة كعين رسول الله الظاهرية، فهذا صنع قد انتهى منه الله، فلا أستطيع أن أغيرها أو أشكلها أو أبدلها، لكن أريد أن تكون عينى الباطنة كعين رسول الله فى النظر إلى الأكوان، وفى النظر إلى الغيوب، وفى النظر إلى العوالم الخفية، وفى النظر إلى القلوب الإنسانية، وفى النظر إلى الأفئدة الإيمانية، هذا هو مطلبى.

فعين رسول الله الظاهرة ليست هى التى يقول فيها **(إنى أرى من خلفى كما أرى من فى الأمام)**، عندما كان يقف فى الصلاة ويرى من وراءه، وبعد الصلاة يقول : أنت أخطأت فى كذا وصحته كذا، وأنت أخطأت فى كذا وصحته كذا، وليس هذا بالعين الظاهرة لأنهم سألوه فقال لهم : (إنى أرى من خلفى كما أرى من فى الأمام)، وهذا هو مقصد الروحانيين، وهذه حالة أيضاً يكرمهم بها الله عز وجل، فكانت تظهر عليهم.

فمثلا سيدى أبو الحسن الشاذلى رضى الله عنه وأرضاه، عندما يقرأ آيات من كتاب الله، وهو فى الصلاة، يأتى بعد الصلاة ويقول يا فلان : أنت فهمت من الآية كذا، وأنت يا فلان فهمت كذا، كيف هذا؟ قالوا هذا ميراث القلوب، أخذ عينى رسول الله، وأصبح ينظر بعين قريبة الشبه من عين رسول الله ﷺ، لأنه عف هذه العين عما حرمه الله، ونظر بها إلى ما كان ينظر به وإليه رسول الله ﷺ، فكان على الدرب، وكان على القدم الذى ينظر به وإليه رسول الله ﷺ .

فمنهم من كان عينه، ومنهم من كان لسانه، ومنهم من كان سمعه، ومنهم من كان يده، ومنهم من كان رجله، ومنهم من كان قلبه، كل واحد منهم ورث عضواً من أعضاء رسول الله ﷺ الروحانية، وكانت به منزلته عند الله عز وجل.

نسأل الله عز وجل ان يرجع لنا هذا الحال، وأن يديم لنا هذا الوصال، وأن يرزقنا تلك الأحوال، وأن يجملنا بما جمل به عباده الأبدال.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، ونستغفر الله من كل قول وعمل.

الفصل الخامس

احتفاء المقربين
بميلاد سيد المرسلين

الصورة المحمدية.



احتفاء المقربين بميلاد سيد المرسلين

ما العبرة التى نأخذها بمناسبة ذكرى ميلاد سيدنا رسول الله ﷺ ؟

العبرة بأن يولد فى قلب كل منا صورة حية لسيدنا رسول الله ﷺ فإذا اشتاق الإنسان إلى رسول الله، وزاد هذا الشوق وقوى ذاك الغرام، تنزّل رسول الله ﷺ من عليائه، ومن كبريائه، فأضاء فى أفق هذا القلب صورة نورانية.

هذه الصورة النورانية تحيى هذا الهيكل وهذا الجسم، تحيى كل حقائقك، وتحييى كل ما فيك من موات، وتجعلك حياً يقول فيك الله عز وجل ﴿ **أو من كان ميتاً فأحييناه وجعلنا له نوراً يمشى به فى الناس كمن مثله فى الظلمات ليس بخارج منها** ﴾ [الآية: ١٢٢، الأنعام]، ويقول فيه الله عز وجل ﴿ **لينذر من كان حياً** ﴾ [الآية: ٧٠، يس].

هذه الحياة ــ يا إخوانى ــ بدء الحياة الإحسانية. فالحياة التى نحياها الآن كلنا ــ والحمد لله ــ اسمها الحياة الإيمانية، الحمد لله أحيانا الله الحياة الإيمانية، لأننا نطيع الله، ونفعل ما أمرنا به الله، وننتهى عما نهانا عنه الله.

بدء الحياة الإحسانية، أنه ﷺ ، تظهر صورة من صوره النورانية فى أفق قلبك. متى تلمع؟ متى تظهر؟ بعد أن يطهر القلب ويصفو من الأغيار ومن الأعذار، ومن الأحقاد ومن الأحساد، ومن الغيظ ومن

البغض، ويكون قلباً لا يحمل غلا كل خير لجميع الكائنـــات، ولا ينبــع منه إلا كل محبة لجميع المخلوقات.

فى هذا الوقت تولد الصورة المحمدية أ والصورة الأحمدية، فـــى ذاتك، وفى قلبك، وفى فؤادك. هذه الصورة تحيى القلب كله، وتحيـــى الجسم كله، وتحيى النفس، وتحيى العقل، وتحيى الروح، بنور رســـول الله صلى الله عليه وسلم ، الذى يقول فيه الإمام أبو العزائم رضـــى الله عنه وأرضاه :

فنقطة نـــور منه تحى قلوبنا فكيف إذا ما كنت بحراً وأنجما

فنقطة واحدة تحيى القلوب ، فكيف بالذى هو بحر من نور رســـول الله ﷺ ؟ فنحن محتاجـــون إلى نقطة واحدة فقـــط، تتولـــد فـــى أرض قلوبنا، وتظهر بها الصورة فى افق القلب. وعندمـــا تظـــهر الصـــورة المحمدية ستكون هى الآمرة الناهية. هى التى تأمر الجـــوارح، وهـــى التى تنهاها. وهى التى تفتح العقل أمام العلوم الرحمانية، وتسد أبـــواب العقل أمام المعلومات الظلمانية والشهوانية. وهـــى التـــى تفتـــح أمـــام الإنسان مجالات الكمالات، حتى يدخل إلى هذه الكمالات، ويكون مـــن أهل الجمالات الإلهية.

الصورة المحمدية

هذه اسمها الصورة المحمدية، والتى نحن كلنا محتاجون لأن تتولد فينا، كيف تأتى هذه الصورة؟ بعد العشق والـــهيام والغـــرام فـــى ذات رسول الله صلى الله عليه وسلم . عشق يملـــك علـــى الإنســـان كـــل

مشاعره، وكل أحاسيسه، ويسكن فى كل جوارحه، حتى ينام الإنسان وليس فى فكره، ولا خاطره، ولا فى فؤاده إلا النبى العدنان ﷺ، ويقوم من نومه وليس فى ذهنه، ولا مخيلته، ولا فى أى حقيقة من حقائقه إلا النبى العدنان ﷺ .

يمشى فى عالم الدنيا وهو يتخيل هذه الملامح، ويستحضر تلك الصفات، ويترسم خطى سيد السادات، ويحاول أن يكون صورة صغيرة جداً من ذاته الشريفة ﷺ فى حركاته وسكناته، وأخلاقه ومعاملاته، حتى إذا جاء يأكل يراه فى أكله، وإذا شرب يراه فى شربه، وإذا نام يراه فى نومه، وإذا قام يراه فى قومته. فيكون ﷺ هو المسيطر عليه فى منامه وفى يقظته.

فى هذه الحالة، تنزل الصورة المحمدية، وتفاض على قلوب العاشقين هذه الصورة الرحمانية. وبهذه الصور التى تنزل فى فؤاده يُحفظ من الوساوس الشيطانية، ومن النزغات النفسانية، ومن الأهواء الإبليسية، ويأخذ الوسام الذى يقول فيه الرحمن ﴿ **إن عبادى ليس لك عليهم سلطان** ﴾ [الآية: ٤٢، الحجر]، لأنهم أصبحوا عبيداً لمن؟ للسلطان الأعظم ﷺ .

فالذين خضعوا ظاهراً وباطناً لسلطان رسول الله ﷺ ، وأصبحوا وفى قلوبهم حقيقة سيدنا رسول الله ﷺ ، هل يستطيع الشطيان أن ينزغ لهم؟ أو يوسوس لهم ؟ أو يسوّل لهم ؟ لا والله، ﴿ **أولئك لهم الأمن وهم مهتدون** ﴾ [الآية: ٨٢، الأنعام].

على الفور لهم الأمن، وكذلك يظلوا مهتدين على الدوام إن شـــاء الله. فأنت لن تأخذ الأمن والأمان، ولا تضمن الحفـــظ مـــن وســاوس الشيطان وهمسات النفس والرجس، إلا بعد ميلاد الصورة المحمدية فـى فؤادك وفى قلبك، ولديها تقول كما قال الإمام أبو العزائـــم رضـــى الله عنه وأرضاه.

فتارة أنا مخمور أراك أنا   وتارة أنا عبد ذاته محقت

لأنه ــ أخيراً ــ أصبحت الصورة فى قلبه.

لســت المغــنى بقــولى   إلا إذا الفـــرد أملـــى
أغــيب عــنى وأملـــى   لمـــن بســـرّى تحلى

هذا يا إخوانى هو الميلاد الذى نحن كلنا محتاجين إليه، وفى هـــذا الوقت الجسم كله، ومملكتك كلها تقيم احتفالاً بميلاد رسول الله ﷺ يليق بهذه المكانة، ويليق بهذه العظمة.

هذا الاحتفال يكون عبارة عن النزوع الكلى إلى الحضرة الإلهيـــة، والخروج بالكلية وانسلاخ البشرية ــ مع بقائها ــ من العوالم الدنيويـــة، ومن الأهـــواء والأرجاس الشيطانية، ويكون العبد عبداً روحانياً، يقــوم لله ويتحرك لله، ويسكن بالله، ويمشى بالله، وينطق بالله، ويقول بالله.

الفصل السادس

حقيقة وجه الحبيب

- ملمح العبودية.
- أعباء الرسالة.
- جمال الوجه.
- إشراقة النور.



حقيقة وجه الحبيب

أنشد الشيخ رضى الله عنه بيتاً للإمام أبى العزائم ﷺ قائلاً :

يا نور وجه حبيبى　　　أشـــرقت للتقـــريب

نور وجه سيدنا رسول الله ﷺ ، والذى قاله لنا مولانا أبو العزائـــم ـــ رضى الله عنه وأرضاه ـــ لم يقل يا وجه حبيبى، حتى لا يسبق إلـــى العقول والأذهان أنه يقصد الوجه الحسى، لكنه قال : يــــا نـــور وجـــه حبيبى.

ووجه الحبيب ﷺ أيضاً ليس هذا الذى فيه العينان والأنف والفـــم واللسان، بل وجه سيدنا رسول الله ﷺ هو المظهر الذى يظـــــهر فيـــه جمالات الله، وكمالات الله، وحسن صفات الله عز وجل.

فسيدنا رسول الله ﷺ ـــ يا إخوانى ـــ حقائقه الظاهرة والباطنـــة لا نستطيع عدها ولا حصرها، يكفى أن تعلموا جميعاً أن كل كمال فـــى أى عالم من العوالم، الظاهرة والباطنة، إنما هو مشكاة وقبس من كمالاتـــــه ﷺ ، حتى الكمالات الظاهرة فى النباتات، والكمـــالات الظـــاهرة فـــى الحشرات، والإضاءة الخافتة أو الباهتة أو المشعة فى الكواكب والنجـوم السيارات، كل تلك الإشراقات من وجه رسول الله ﷺ .

ووجه رسول الله ﷺ يعنى وجه الرسالة والنبوة. وجـــه الرســـالة والنبوة هو هذا الوجه الذى يواجهنا به، لكن وجه العبدية فيواجـــه بـــه الربوبية. انتبهوا معى جيداً، ليس له وجه واحد، بل له وجـــوه كثـــيرة.

وجه العبدية وهذا يقابل به الذات العلية، عبد ودائماً يتغنى بأنـــه عبـــد، ويقول : **(أنا عبد الله ورسوله ولن يضيعنى الله أبدا)**. وهذا مَنْ عبـــد الله ورسوله.

ملمح العبودية

وجه العبودية لله يظهر فيه التواضع، يظهر فيه المسكنة، يظـــهر فيه الانكسار، يظهر فيه الخشوع، يظهر فيه الخضـــوع، يظـــهر فيـــه الإخبات، يظهر فيه الإنابة لله عز وجل. وهذا الوجه هو الذى نســتطيع أن ندخل به على حضرة الله حتى يفيض علينا بعض ما أفاضه علـــى سيدنا رسول الله ﷺ .

فالذى يريد أن يواجه الله فيواجهه الله، بماذا يواجه الله ؟ يواجهـــه بالعبدية، وبثوب العبدية، يوجه وجهه إلى الله وقلبه مملوء بالانكســـار ، مملوء بالافتقار، مملوء بالرهبوت، مملوء بالخوف من جمال الله وكمال الله وجلال الله، والخوف من الجمال أكثر من الخوف من الجـــلال، لأن الجمال قد يجعل الإنسان ينبسط، وإذا انبسط ربما يتعرض لســوء الأدب فيعاقب، لكن طبيعة الجلال تجعل الإنسان فيه خشية وفيه مسكنة.

هـــذا الوجه هو الذى نستطيع به أن ندخل على الله عـــز وجـــل، فيواجهنا بما يواجه به رسول الله ﷺ ، فيفتح لنا كنوز الغفار ، ويفتـــح لنا كنوز التواب، ويفتح لنا كنوز العفو، ويفتح لنا كنوز الفتاح، ويفتـــح لنا كنـــوز العليم، ويفتح لنا كنوز الحكيم، ويفتح لنـــا كنـــوز الأســـماء

والصفات الإلهية كلها . وهذه هي بعض الكنوز التي يواجه بها الله عز وجل عباده الصالحين وأولياءه المقربين.

أعباء الرسالة

أما وجه رسول الله ﷺ الذى يواجهنا به، فهو وجه الرسالة، التبليغ، التبشير، الإنذار للكفار والعصاة والفجار، الحكمة، الموعظة الحسنة، الكلمة الطيبة، التفصيل، التوضيح، الشرح، التدريس. هذا هو الوجه ــ وجه الرسالة ــ الذى واجهنا به، ولا يزال يواجهنا به رسول الله ﷺ .

﴿ **محمد رسول الله والذين معه** ﴾ [الآية: ٢٩، الفتح]، لم يقل (محمد نبى الله)، لأننا ليس لنا شأن بوجه النبوة، فهذا وجه آخر، هو وجه النبوة، وهذا يواجه به الأنبياء السابقين والرسل السابقين، فكان يواجههم بوجه النبوة.

وجه النبوة يواجههم بالأقدار، ويواجههم بالإلهامات، ويواجههم بالفيوضات، ويواجههم بالمعجزات، ويواجههم بالتأييد والنصرة، ويواجههم بإذلال العصاة والجاحدين والكفرة، ويواجههم بأشياء لا يعلمها ولا يحيط بها إلا رسل الله وأنبياء الله السابقين. هذا هو وجه النبوة، أما نحن فلنا وجه الرسالة.

جمال الوجه

أما الملائكة فيواجههم صلى الله عليه وسلم بوجه الجمال، لأنه ﷺ هو الجمال الذى أبداه الله عز وجل لهم، فآمنوا بـــه مـــن بعـــد طـــول مشاهدتهم لمقامات الجلال، وكان الملائكة قبل ظهور ذاتـــــه الشـــريفة يواجهون ذات الله عز وجل بجلالها وكبريائها، فمنهم من هو فى كـــوب منذ أن خلقه الله عز وجل، فلذلك سموا بالكروبيين مـــن شـــدة كربـــهم وخوفهم من الله عز وجل.

ومنهم من هو فى رعب منذ أن خلقـــه الله عـــز وجـــل، ولذلـــك يتجهمون ولا يبتسمون، وعندما رأى ﷺ إمامهم وزعيمهم مالك عليـــه السلام، رآه متجهم الوجه، فتعجب ﷺ كيف يتجهم فى حضرته ــ وهو الذى يبتسم الجميع حتى الجمادات بطلعته ﷺ ــ فقال له سيدنا جـــبريل عليه السلام: لا تؤاخذه ولا تعنفه يا رسول الله، فلو ضحك لأحد قبلـــك لضحك لك.

هؤلاء الملائكة على اختلاف أصنافهم وأشكالهم ونعوتهم، كـــانوا ولا يزالون فى شدة الخوف من ربهم حتى واجههم الله عز وجل فـــى وجه حبيبه ﷺ بوجهه الجميل، وأظهر لهم جمالاته الإلهية، وإكرامـــه الربانى، وكشف له ولهم عن بعض رحمته الواسعة، فآمنوا واطمئنـــوا، وأبشروا وبشروا بعد أن رآوا وجه رسول الله ﷺ الجميل فـــى ليلـــة الإسراء أو قبلها أو بعدها.

ووجه آخر يواجه به رسول الله ﷺ جنة عدن، ووجه يواجه بـــه جنة الفردوس، ووجه يواجه به جنة الخلد، كل جنة من الجنان يواجهـها ﷺ بوجه يظهر فيه وعليه الله عز وجل الجمالات والكمالات التى يريد أن تكون على مثالها هذه الجنان، فيراه الملائكة المكلفون بهذه الجنـــة، فينسجون على منوال ذاته الشريفة، ويصنعـــون علـــى مثـــال صفاتـــه المنيفة، التى تظهر لهم فى هذا الوجه الذى يكشفه لهم الله عز وجل.

إشراقة النور

وجوه كثيرة وكثيرة، وكلها مظاهر يظهر فيـــها المصطفـــى ﷺ ، فيظهر لكل قوم بما يلائمهم وما يناسبهم من الأحوال العلية، والأســـرار الربانية، والأخلاق الرحمانية. فهذا الإمام أبو العزائم ــ رضى الله عنه وأرضاه ــ طالب رسول الله ﷺ وهو يخاطبه أن يشرق عليه بوجهـــه النورانى :

يا نور وجه حبيبى   أشـــرقـــت للتقـــريب

الوجه النورانى إذا واجه المصطفى ﷺ به إنسان ظلمانى مثلـــى، فإنه يبدل ظلماته بنور من الله عز وجل، ويبدل جهالاته بعلـــم، ويبـــدل سفهه بحلم، ويبدل أخلاقه الفاسدة بأخلاق نبوية وكمالات إلهيـــة، لأنـــه ووجه بالأنوار القدسية فى وجه رسول الله ﷺ . وهذا هو الوجه الـــذى أمر به الله حبيبه ومصطفاه أن يصلى به على عباده الصالحين ﴿ **هـــو الذى يصلى عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات إلى النور** ﴾ [الآية: ٤٣، الأحزاب].

لقد ذكر الله عز وجل انه يصلى، وقال سبحانه وتعالى ﴿ **الله ولى الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور** ﴾ [الآية: ٢٥٧، البقرة].

فالله يخرج المؤمنين أجمعين من ظلمات الكفر، وظلمات الجحـود، وظلمات النكران، وظلمات الشك، إلى نور الإيمان الصحيح، وإلى نـور التوحيد، وإلى نور اليقين، وإلى نور الهداية، لكــن المؤمنيــن الذيــن يرتقون درجات عن هؤلاء المؤمنين الصادقين وهم الذين يصلى عليــهم فى مقام المواجهة ﴿ **هو الذى يصلى عليكم** ﴾، فى مقام المواجهة.

أما الآية السابقة ﴿ **الله ولى الذين آمنوا يخرجهم مــن الظلمــات إلى النور** ﴾، وهنا الإخراج فى مقام الغيبــة، لأنــهم لا يحســون ولا يشعرون ولا يدركون بهذا الإخراج، وإن كان يظهر حاله عليهم بعـــد ذلك فى أفعالهم، وفى خصالهم، وفى أحوالهم، ولكن فى هــذه الصـــلاة الأخرى يكونون فى حالة المواجهة ويشعرون بـــها، ويتـــأهبون لـــها، ويستعدون لها، ويشعرون بكل تقدم يتم عليهم فى أحوالهم الروحانية فى خلالها أو بعدها.

﴿ **هو الذى يصلى عليكم** ﴾ ، والهوية لا نســـتطيع أن نتحـــدث عنها فى هذا المقام، لكن رمزها وكنزها هو المصطفى عليـــه أفضــل الصلاة وأتم السلام، فإنه هو الذى جعله الله سبحانه وتعالى برزخا بيــن حضرته وبين جميع الكائنات والمخلوقات. فعندما قـــال ﴿ **هــو الأول والآخر والظاهر والباطن** ﴾ [الآية: ٣، الحديد]، فإن الله عز وجل ليس له أولية وليس له آخرية، وبطونه هو عين ظـــهوره، وظـــهوره عيــن

بطونه عز وجل. ولكنه أشار إلى الذات المحمدية، فهو الأول فى مقامات القرب من الله، وهو الآخر فى مقامات الشفاعة والوصل من الله، وهو الظاهر للسابقين واللاحقين ليستمدوا منه أنوار حضرة الله، وهو الآخر فى الظهور فى الدنيا لأنه هو الخاتم صلوات الله وسلامه عليه.

فـ ﴿ **هو الذى يصلى عليكم** ﴾ ، فى مقام التربية المحمدية، وفى مقام الرسالة النبوية، ليخرجكم من الظلمات إلى النور. والظلمات هنا هى ظلمات الأغيار، وظلمات الأرجاس، وظلمات الأدناس، وظلمات الذنوب، وظلمات العيوب.

هذه الظلمات ينقلنا منها رسول الله ﷺ إلى نور اليقين، وإلى نور الإحسان، وإلى نور الشهود والعيان، وإلى نور العلم الربانى، وإلى نور الكشف الروحانى، حتى نصير كما قال الله عز وجل ﴿ **تحيتهم يوم يلقونه سلام** ﴾ [الآية: ٤٤، الأحزاب] ، فنسمع التحية من السلام ونرد السلام على السلام عز وجل بعد إخراج المصطفى ﷺ لنا من الظلمات إلى النور.

فصلاة منه وبه عليهم	**أخرجتهم فضلاً من الظلمات**
قبلة العارفين حال الصلاة	**وجه مولى منزهاً عن جهات**
وهم قبلة له إذ يصلى	**بحنان عليهم للنجاة**
فصلاة منه وبه عليهم	**أخرجتهم فضلاً من الظلمات**

وهذا هو المقام الذى يقول فيه مولانا أبو العزائم رضى الله عنه :

من خمـــر نور جمـــالك	**ومن رحـــيق وصـــالك**
شـــربت صـــرفاً فهمت	**وهـــام أهـــل كمـــالك**
وأصـــبح القلـــب نـــوراً	**والقلـــب قـــد كان حـــالك**

من الذى نور القلب، وبيض القلب، وأخرج ما فيه من الظلمـــات؟ سيدنا رسول الله ﷺ . فنور وجه رسول الله ﷺ عندما يشـــرق علينـــا ينقلنا من الظلمات.

ونور وجه رسول الله ﷺ هو النور الذى يصطفيه الحبيب ليشـــرق فى قلب كل قريب فى زمانه، وعصره وأوانه، هذا النور يشرق علـــى القلوب أولاً بنور العلم الإلهى، فينقلهم من العلم الكســـبى إلـــى العلـــم الوهبى، ثم ينقلهم إلى النور الإلهى. فبعد أن كـــانوا ينظـــرون بعيـــون الرؤوس، ينظرون بعيون الأسرار، فيرون بعد ذلك مـــا لا عيـــن رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

الفصل السابع
قراءة رسول الله ﷺ

- لقاء جبريل المشوق بالحبيب ﷺ .
- ماذا يقــرأ .
- الخطبة الثانية .



قراءة رسول الله ﷺ(*)

الحمد لله رب العالمين الذى أنعم على الوجود بخير والـــد وخـــير مولود نبى الهدى والرشاد والرحمة المهداة والنعمـــة المســداة لجميــع العباد من بدء البدء إلى يوم الميعاد.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له كان ولا شئ معه كــنزاً مكنوناً ونوراً مخزوناً وسراً مصوناً فخلق مـــن نـــوره نـــور حبيبــه ومصطفاه ليعرف به الخلق جمال الله وجلال الله وكمال الله.

وأشهد أن سيدنا محمداً عبد الله ورســـوله خيرتـــه مـــن بريتـــه ومصطفاه من أنبيائه ورسله النبى الأمى الذى أعجز بعلمه كل متعلـــم لما أظهر من الغيوب وما نطق به من العلم الموهوب الذى وهبـــه لـــه وآتاه إياه علام الغيوب عز وجل.

اللهم صلى وسلم وبارك على سيدنا محمد الصراط المستقيم بيـــن الحق والخلق والدليل لكل مسلم ومسلمة على الصدق والأخـــذ بأيدينـــا جميعاً عند الموت بالرفق والرافع لواء سعادتنا أجمعين يوم الديـــن ولا يتخلى عنا حتى يدخلنا بيده جنات النعيم صلى الله عليـــه وعلـــى آلـــه الطيبين وصحابته المباركين وكل من اهتدى بهديه ودخل قلبه حبه إلـــى يوم الدين وعلينا معهم أجمعين آمين آمين يارب العالمين.

(*) كانت هذه الخطبة بمسجد الشيخ على بقرية طوخ الخيل محافظـــة المنيـــا يـــوم الجمعة ٢٣ من ربيع الأول ١٤٢٢هـــ الموافق ٢٠٠١/٦/١٥م.

أما بعد..

فيا إخوانى ويا أحبابى جماعة المؤمنين.

مَنّ الله عز وجل علينا قبل الصلاة فسمعنا شيئاً من ثناء الله ومدحه لحبيبه ومصطفاه مدحه فى سورة الأحزاب ومدحه فى سورة الإنشراح ومدح الله لحبيب الله ومصطفاه لا يبلغ مداه العلماء ولا المفسرون إلا بما يتفضل به على قلوبهم الله عز وجل من علمه المكنون ومن غيبه المضنون وأريد أن أقف مع نفسى وإخوانى عند الآيات التى ختم بها قارئنا تلاوته وهى أول آيات نزلت على حبيب القلوب والمقرب الأول إلى حضرة علام الغيوب ﷺ كان ﷺ يختلى بنفسه مع ربه فى غار حراء يتحنث لله ويتعبد لله ويقبل بالكلية على حضرة الله حاشى أن نسمع إلى من يقول أنه كان يطهر قلبه ويصفى نفسه لأن الله خلقه من الطهر ومن النقاء والصفاء فلم يعرف الجفاء سبيلا إلى نفسه ولم تعرف الأغيار ولا السوى طريقا إلى قلبه فقلبه من البدء إلى النهاية مع الله وبالله ولله عز وجل وقد قال فيه ربى عز شأنه ﴿ **لقد جاءكم رسول من أنفسكم** ﴾ [الآية:١٢٨، التوبة] من أنفسكم يعنى أغلاكم قلبا وأعزكم روحا وأرقاكم نفسا وأطهركم قلبا وقالبا لله عز وجل فهو الطاهر المطهر الصفى التقى النقى البهى الجميل الوفى لأن الله خلقه من نوره وصوره على جماله وبهائه وكماله وإنما كان يتعبد لله ويضرع لله ويقبل على الله لأن الله أعلمه بإشارات قلبية وتلويحات إلهية ورموز نورانية أنه قد آن الأوان لحضرته ليتلقى

العطية ويقوم بالرسالة تشريفا من الحضرة الربانية فكان يتعرض لـــهذا الفضل فى كل عام فى شهر رمضان ولم شهر رمضان؟ لأن الله أعلمه وبشره أنه شهر تنزل القرآن وشهر اصطفاءه للرســـالة لجميـــع بنـــى الإنسان وتكريمه بنزول الملك ليخبره بفضل الواحد الديان عز وجل.

لقاء جبريل المشوق بالحبيب ﷺ

فلما أراد الله عز وجل أن يبلغه مراتب الكمال وأن يصطفيه لـــهذا العطاء وهذا النوال وأن يفتح له كل كنوز الفضل ويخصه بكل الجمـــال أهله فى ليلة نزول القرآن فنزل عليه أمين الوحى جبريل وهـــو للقـــاء حضرته لهفان وللنظر فى وجهه ظمآن وقد انتظر هذه اللحظـــة منـــذ خلقه الرحمن فاحتضنه شوقا إليه وتلهفا إليه وتعبيرا عن الحب الـــذى فى قلبه إليه لأن الله قال للملائكة كما قال لنا وكما قال لكل كـــائن فـــى ملك الله أو ملكوته ﴿ **وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين** ﴾ [الآية: ١٠٧، الأنبياء] . فالملائكة لها نصيب من رحمته والجنة لـــها نصيـــب مـــن رحمته والسماوات لها نصيب من رحمته وكل من فى الأرض أو تحت الأرض أو فى طباق الأرض أو على ظهر الأرض لـــه نصيـــب مـــن رحمته وكل كائن فى ملك الله وملكوته لابد له من نصيب من رحمتـــه صلوات ربى وســـلامه عليه وإن كنـــا بفضـــل الله وباختصـــاص الله وبإكرام الله نلنا والحمد لله أعظم نصيب من رحمة الله من حبيـــب الله ومصطفاه ﷺ فنحن أصحاب النصيب الأعلى والمقام الأجلى والدرجـــة

الأسمى من رحمة رسول الله ﷺ فاحتضنه الأمين جبريل شـوقا إليـه وقال : اقرأ قال ما أنا بقارئ يعنى أنا لا أفعل شيئا من نفسـى وإنمـا أمورى كلها بربى عز وجل فلا أفعل أمرا صغيرا ولا كبيرا من تلقـاء نفسى وإذا كنتم معشر الملائكة تقولون ﴿ **وما نتنزل إلا بأمر ربك لـه ما بين أيدينا وما خلفنا ومن بين ذلك** ﴾ [الآية: ١٦٤، مريم] فما بالكم بسيد خلق الله وخير من خلقه الله واجتباه لا حركة له ولا وجهة لـه ولا خطرة له ولا سكنة له إلا بأمر صريح من الله عز وجل ﴿ **إن هـو إلا وحى يوحى علمه شديد القوى** ﴾ [الآيتان: ٤-٥، النجم] وشديد القـوى هو الله وليس مثلما يقول بعض الجهلاء جبريل لأن جبريل تلميذ نبيـل لحضرة السيد الجليل ﷺ وهل التلميذ يعلم مدرسه؟ لكن من الذى يعلـم رسول الله ؟ الله. فلا يتلقى إلا من الله ولس هو وفقط ﴿ **ومـا ينطـق عن الهوى** ﴾ [الآية: ٣، النجم] ليس النطق فقط ولكن وما يفعل عـن الهوى وما يتحرك بأى جارحة من جوارحـه ولا بـأى عضـو مـن أعضائه الظاهرة أو الباطنة عن الهوى وإنما أمره كله قال فيه له ربـه ﴿ **قل إن صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين** ﴾ [الآيـة: ١٦٢، الأنعام] صلاته لله وعباداته لله وحياته كلـها لله حتـى أكلـه لله وشربه لله ونومه لله ومداعبته لأزواجه وأولاده وأحبابه لله حتـى كـل أموره الظاهرة والتى قد نظن أنها لحاجة فى نفسه إنما هى لله وبـأمر الله عز وجل. قال له ما أنا بقارئ ﴿ **اقرأ باسم ربك الـذى خلـق** ﴾ [الآية: ١، العلق].

ماذا يقــرأ ؟

ماذا يقرأ ؟ وما الذى كان مع جبريل ليقرأه ؟ هل كان معه كتــاب أو سطر أ وصفحة ؟ لا لم يكن معه شئ لكن هذا كان إذن ممن يقــول للشئ كن فيكون للحبيب المجتبى المصطفى بأن يقــرأ. مــن علــم الله المكنون ومن غيب الله المضنون ما كان وما هو كائن وما سيكون إلــى أن يدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار بتعليم من الواحد القهار عــز وجل إذا قراءة الحبيب ليست كقراءة بعضنا لكن هذه قراءة إلهية فــى الأسرار الربانية والعلوم الإلهامية والألواح الغيبية قرأ فيها كل شئ وقد عبر عن هذه الحقيقة صلوات ربى وسلامه عليه عندمــا كــان قــاب قوسين أو أدنى فقال : فنزل على لسانى قطرة أحلى من العسل وأليــن من الزبد وأبرد من الثلج ووضع الجبار يده على ظهرى حتى وجــدت برد أنامله فى صدرى فعلمنى علم كل شئ وأعطانى ثلاثة علوم علــم أمرنى بتبليغه وعلم خيرنى فيه وعلم أمرنى بكتمه فأمــا الــذى أمــره بتبليغه فعلم الشريعة المطهرة لأن كل مسلم ومســلمة لابــد أن يعلــم الحلال والحرام وما يحبه الله وما لا يرضاه الله وما به ينال الجنة ومــا به ينال اللوم والعتاب من الله يوم الدين فلابد ان يعلم الشريعة لجميــع المسلمين وأما العلم الذى خيره فيه فعلم الحكمة لأنها خصوصية لمــن طهر قلبه وزكى نفسه وكان طالبا لرضاء الله وغير طــالب لجنــة الله فقط فطالب الجنة يكفيه علم الشريعة وطالب الله لابد له من علم الحكمة مع علم الشريعة ﴿ **يؤتى الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمــة فقــد**

أوتى خيرا كثيرا ﴾ [الآية: ٢٦٩، البقرة] ولذلك قال ﷺ لمـــن خلفـــهم وورثهم وأمرهم بتبليغ الحكمة **(لا تمنعوا الحكمة عن أهلها فتظلموهـــم ولا تؤتوها غير أهلها فتظلموها وكونوا كالطبيب الرفيق يضع الـــدواء فى موضع الداء)** أما العلم الذى أمره الله بكتمه ولم يكشـــف منـــه إلا شذرات وومضات وضحت لنا الطريق إلى يوم الديـــن وعلمتنـــا مـــا سيدور يوم يجمع الله الأولين والآخرين فعلم الأقدار وعلم الغيوب التـــى اختص بها الله نبيه الحبيب المحبوب وقال له فيها ﴿ **وعلمك مـــا لـــم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما** ﴾ [الآية: ١١٣، النساء] هـــذه قراءة رسول الله إقرأ ما فى اللوح المحفوظ إقرأ ما هو مكتـــوب علـــى العرش والكرسى إقرأ ما هو مكتب على أبواب وعلى قصور الجنـــان ولذلك كنا نسمعه يقول وجدت على باب الجنة مكتوبا **(لا يدخل الجنـــة من كان فى قلبه مثقال ذرة من كبر)**[1] ويقول مرة أخرى ممـــا قـــرأه على أبواب الجنة **(وجـــدت على باب الجنة مكتوبـــا الحســـنة بعشـــر أمثالها والقرض بثمانى عشرة حسنة فقلت يا أخى يا جبريل لم كـــانت الصدقة بعشر وكان القرض بثمانى عشرة؟ قال لأن الصدقة قد تقـــع فى يد الفقير وفى يد الغنى ولكن القرض لا يطلبه إلا ذو حاجة)** ولـــذا جعل الله أجره مضاعفا على أجر الصدقة يقرأ ما فى الجنة ويقرأ مـــا هى لوائح البوار فى أهل النار ويقرأ ما فى النفـــوس ويقـــرأ مـــا فـــى الصدور ويقرأ كل ما سيكون إلى يوم البعث والنشور فمـــا مـــن شـــئ

---

[1] رواه مسلم والإمام أحمد والترمذى عن عبداله بن مسعود.

حدث لنا أو حدث بيننا أو سيحدث لمن بعدنا إلا وأنبأ عنـــه ووضحـــه بأجلى بيان تعليما من حضرة الرحمن عز وجل لخير نبى ﷺ . قـــال ﷺ : **(إنما أنا رحمة مهداة)**[1]، وقال ﷺ : **(التائب من الذنب كمـن لا ذنب له)**[2].

ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة.

---

[1] رواه البيهقى فى سننه والطبرانى وابن ماجة عن ابن مسعود.

[2] رواه الدارمى فى سننه عن أبى صالح.

الخطبة الثانية :

الحمد لله رب العالمين العلى الكبير الذى اختار لنـــا خـــير نذيـــر وخير بشير.

وأشهد أن لا إله إلا اله وحده لا شريك له بيده الفضل وبيده الخـير وهو على كل شئ قدير وأشهد أن سيدنا محمدا عبد الله ورسوله الـــذى اختصنا الله به بين العالمين فجعله نبينا وجعلنا أمته.

اللهم صلى وسلم وبارك على سيدنا محمد وأكرمنا جميعا بحســـن إتباع شريعته والعمل الدائم المستمر على سنته حتى نجتمع سويا علـــى حوض حضرته ونشرب منه شربة هنيئة لا نظمأ بعدها أبـــدا ونكـــون معه أجمعين يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتـــى الله بقلـــب ســـليم وصلى وسلم دائما أبدا على حبيبك خير الخلق كلهم واجعل يـــا ربنـــا صلاتنا عليه مددا دائما لا ينقطع واصلا منه إلينا حتى نكون معه فـــى جنة النعيم ونحظى معه بالتكريم يا كريم.

عباد الله جماعة المؤمنين..

اعلموا علم اليقين أن الله عز وجل أكرمنا وعظمنا وبجلنا حينمـــا جعلنا من أمة الرحمة المهداة ونسبنا إلى حبيبه ومصطفاه وهذا شـــرف طلبه أنبياء الله ورسل الله فكان يقول سيدنا موسى يارب (النبى الـــذى يأتى من بعدى خير خلقك محمد وددت لو أنك جمعـــت بينـــى وبينـــه) فيقول الله تعالى يا موسى إنك تقدمت واستأخر. فيقول يـــارب اجعلنـــى

من أمته فوعده الله عز وجل أن يكون من أمته فأوقفه للحبيب يوم قـلب قوسين أو أدنى ليكون منجدا لحضرته ومعززا لشريعته ورحيما بأمتــه ليحظى بشفاعته صلوات ربى وسلامه عليه وسيدنا عيسى كان يقـــول لحواريه النبى الذى يأتى من بعدى اسمه أحمد أتمنى أن أحمل حذاءه.

اللهم أكرمنا فى الدنيا والآخرة بحب حبيبـك ومصطفـاك وامـلأ جوارحنا بحبه واجعل أفئدتنا هائمة فى مقام وده وقربه واكشف عنا كل حجاب حتى نراه ظاهرا متلألئا بغير نقاب واجعلنا ممن يحظـــى فـــى الدنيا بزيارته وفى الآخرة بشفاعته ويحظى فى الدنيا والآخرة برحمتــه نحن وأولادنا وبناتنا ونساءنا وإخواننا المسلمين أجمعين.

اللهم اغفر لنـــا ولوالدينـــا وللمســلمين والمسـلمات والمؤمنيــن والمؤمنات الأحياء منهم والأموات إنك سميع قريـــب مجيـــب الدعـــاء يارب العالمين.

اللهم بجاه نبيك المأمون وبسره عندك المصون اكشف عنا وعـــن المسلمين أجمعين كل ضراء واكشف عنا وعنهم كل عناء ووباء وبـلاء واشفنا أجمعين من الأمراض والأسقام ويسر لنا الخير العام وأنزل لنـــا البركة فى الزروع والضروع والأقـــوات والأولاد والأجســام حتـــى نشكرك فى كل وقت وآن يا غفور يا شكور.

اللهم أصلح حكامنا وحكام المسلمين أجمعين ببركة النبى الأميـــن ووفقهم للعمل بكتابك وسنة حبيبك يارب العالمين.

اللهم انصر إخواننا المسلمين فى فلسطين وقوهم بقوتـــك وأيدهـــم بنصرك فى كل وقت وحين وأنزل على اليهود ساحقة ماحقة من عنـدك لا تبقى ولا تذر عليهم أجمعين.

اللهم أرحنا وأرح العالم كله من شرورهم وخذهـــم أخــذ عزيـــز مقتدر وفرحنا أجمعين بتطهير بيت المقدس وتحرير أرض فلسطين.

عباد الله ﴿ **إن الله يأمر بالعدل والإحســـان وإيتـــاء ذى القربـــى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون** ﴾.

اذكروا الله يذكركم واستغفروه يغفر لكم، وأقم الصلاة.

الفصل الثامن
بشرى النبى بالفضل لأمته

ـ معاملة الله للمؤمنين بالفضل .

ـ شهادة النبى لأمته .

بشرى النبى بالفضل لأمته (*)

الحمد لله رب العالمين، مالك يوم الدين، وملك يوم الدنيا وملك الأولين والآخرين، القوى فى عظموت ذاته.. المنزه فى كبريائه وأسماءه وصفاته.. العلى فى استواءه على جميع نعوت كلماته أو واسطة جهاته.

سبحانه سبحانه واسع المغفرة عظيم العفو كثير الغفران يسامحنا على اللهو والعصيان ولا يحاسبنا على ذلك عند تنزل الخير فى كل وقت وآن فإننا نعصاه فيمهلنا ونخالف أمره فيرزقنا وإذا غفلنا عنه حينا من الدهر ثم رجعنا إليه وناديناه أسرع بإجابتنا فسبحانه من إله كريم جواد لطيف ورءوف ورحيم بنا معشر المؤمنين أجمعين.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له عفو كريم يحب العفو عن عباده المؤمنين ويسعى باللطف بأوليائه المسلمين وينصب لهم فى الدنيا ميزان جوده وكرمه وفى الآخرة يوقفهم فى ميدان فضله وعفوه ويقول لنا أجمعين (يا عبادى استغفرونى أغفر لكم) فعجبا من رب عظيم يطلب من عبيده المقصرين أمثالنا أن يستغفروه ليتفضل عليهم بالعفو والغفران ويقول لنا أجمعين فى صريح القرآن وبنص كلمات

(*) كانت هذه الخطبة بالمسجد الكبير بمدينة بور فؤاد محافظة بور سعيد يوم الجمعة ١٣ من جمادى الأولى ١٤٢٢هـ الموافق ٢٠٠١/٨/٣م بمناسبة الاحتفال بذكرى الشيخ محمد على سلامة رضى الله عنه.

حضرة الرحمن ﴿ **إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين** ﴾ [الآيتان: ٢١-٢٢، البقرة]، لم يقل يحب التائبين لأنه لو قال يحب التائبين كانت التوبة لمرة واحدة ولا سماح بعدها أما قوله عز شأنه يحب التوابين بصيغة المبالغة أى الذين كلما أذنبوا تابوا واستغفروا وكلما أخطأوا رجعوا إليه واعتذروا وكلما أحسوا بوقع الذنب رجعوا إليه نادمين تائبين فيغفر لهم وهو الغفور الرحيم عز وجل.

وأشهد أن سيدنا محمدا عبد الله ورسوله إمام الأتقياء ونبى السعداء والذى أكرمنا الله به فى الدنيا ووعدنا بإكرامنا به يوم الجزاء.

اللهم صلى وسلم وبارك على سيدنا محمد واجزه عنا خير الجزاء واجعله إماما لنا فى الدنيا وشفيعا لنا يوم العرض واللقاء واجمعنا أجمعين على حوضه واسقنا بيمينه الشريفة شربة يدوم لنا بها الهناء ونال بها الهدى والفتح والضياء ونكون من أهل المقام العالى فى الجنة الفيحاء نحن وإخواننا المسلمين أجمعين.

أما بعد..

فيا عباد الله جماعة المؤمنين..

استمعت معكم قبل الصلاة إلى بشرى عظيمة ساقها إلينا الله فى خير كلام أنزله الله إلى خلق الله هذه البشرى عندما استمعت إليها اليوم وأفاض الله عز وجل على قطرة من معانيها فى قلم القدرة الإلهية وفى أسرار العناية اللوحية الربانية فرحت فرحة عمت منى كل الأرجاء

فأحببت أن أشرك إخوانى معى فى هذه الفرحة إن الله عز وجل يبشـرنا أجمعين والمسلمين الأولين والآخرين والسابقين والمعاصرين واللاحقين من أتباع إمام النبيين والمرسلين ﷺ وذلك فى قوله عز شأنه وتبـارك اسمه ولا إله غيره ﴿ **يا أيها النبى إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا وبشر المؤمنين بأن لهم مـن الله فضلا كبيرا** ﴾ [الآيـات: ٤٥-٤٧، الأحـزاب] أمـره الله أن يبشـر المؤمنين بأن لهم والله لم يقل جزاء لأعمالهم ولا ثوابا لصالحاتـهم ولا عفوا عن ذنوبهم ولا أجرا كريما على أعمالهم وطاعاتهم لأن هذا أمـر فرغ الله منه، وأمر انتهى الله منه وقال فيه جل شأنه ﴿ **هـل جـزاء الإحسان إلا الإحسان** ﴾ [الآية: ٦٠، الرحمن] هل يجزى الرحمن لمـن عمل صالحا إلا أجر عظيما فوق ما يطمع فيه ويزيد عما يأملـه فـى خالقه وباريه لأنه الكريم الذى كرمه لا يحد والعظيم الذى نعيمه عـز وجل لا يعد إن الذى يجزى بأجر مقدر وبثواب مقـدر هـو صـاحب الخزائن التى تنفد أو صاحب الميزانية المحدودة والتى لها آماد وأوقـات غير ممدودة لكن الكريم الذى كرمه لا يحد وعطاؤه لا يعد ولا منتـهى لعطاءه فى الدنيا بل إلى أمد الأمد وعدنا بأنه يجزى بالإحسان إحسـانا وأما السوء والمعاصى فقد وعدنا أهل هذه الأمة بأن يكشف عنـا كـل غمة قال لنا فى كتابه عز شأنه لأننا الأمة المرحومـة التـى يعاملـها بفضله ورحمته ولا يعامل أهلها بعدله وقدرته.

معاملة الله للمؤمنين بالفضل

فلو عاملنا بعدله وقدرته على أرجى عمل عملناه وأكثر صالحات قدمناها لله لهلكنا جميعا لأن أعمالنا لا نستطيع أن نصمد بها أمام ميزان الإخلاص أو أمام ميزان الصدق أو أمام ميزان الكرم الإلهى فلو حاسبنا على نعمة واحدة قدمها إلينا بكل ما قدمنا إليه من أعمالنا ما وفينا بنعمة واحدة من نعم الله عز وجل علينا أو لنا ولكنه شملنا بعطفه ووعدنا بمزيد جوده وكرمه فقال فينا معشر المسلمين الذين كلما أذنبوا تابوا وحفظوا أنفسهم من المعاصى والكبائر التى لا يرجو الله من المؤمنين أن يقتربوا منها وعدنا فقال عز شأنه ﴿ **أولئك الذين نتقبل عنهم أحسن ما عملوا ونتجاوز عن سيئاتهم فى أصحاب الجنة وعد الصدق الذى كانوا يوعدون** ﴾ [الآية: ١٦، الأحقاف] وعدنا أن يتجاوز عن سيئاتنا وأن يعفو عن ذنوبنا وهفواتنا وأن يتقبل عنا صالح أعمالنا وأفضل طاعاتنا وأخشع صلاتنا وركوعنا وسجودنا لله وهذا وعد من الله وهو عز شأنه لا يخلف الميعاد، يخلف الوعيد ولكنه لا يخلف الميعاد فإذا توعد وهدد قد يتجاوز عن وعيده ويمتنع عن تنفيذ قهره بعبيده لأنه رب غفور رحيم كريم ولكنه إذا وعد نفذ ولا يخلف وعدا ولو صغيرا لأنه عز وجل وعد بذلك المؤمنين وسجل ذلك فى كتابه الكريم فأمر الجزاء وأمر الوفاء وأمر المكافأة ضمنه خير الأكرمين وأجود الأجودين عز وجل وأمر العفو وعدنا به الله وضمنه لنا فى كتاب الله ولكنه زادنا اليوم ببشرى من الله أمر حبيبه ومصطفاه

أن يبشرنا بها فقال له عز شأنه ﴿ **وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلا كبيرا** ﴾ [الآية: ٤٧، الأحزاب] ليس أجرا ولا ثوابا وإنما فضلا يتفضل به المتفضل علينا لا بعمل عملناه ولا بصالح قدمناه ولكنها عناية من الله لهذه الأمة التى اختارها أمة لحبيبه ومصطفاه ﷺ ومن جملة هذا الفضل الكبير أنه أشهد على الأمم السابقة الكرام الكاتبين والأرض والأنبياء والمرسلين وأشهد عليهم منا العلماء العاملين وأشهد على الجميع سيد الأولين والآخرين ﷺ .

شهادة النبى لأمته

أما نحن معشر المؤمنين الذين آمنوا بخير النبيين فجعله شاهدا لنا ﴿ **يا أيها النبى إنا أرسلناك شاهدا** ﴾ [الآية: ٤٥، الأحزاب] من الذى يشهد لنا أو علينا؟ رسول الله ﷺ ما صفة هذا الشاهد؟ وما حقيقته عند ربه؟ قال لنا أجمعين أفرحوا وأبشروا واستبشروا ﴿ **لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم** ﴾ [الآية: ١٢٨، التوبة]. هذه الآيات تحتاج إلى كل أقلام الأرض وبحارها مدادا حتى تبين ما فيها من بشريات لنا لسيد السادات ﷺ فجعل هذا الرسول من أنفسنا ولم يجعله من جنس آخر فإن الملائكة من جنس آخر غير جنسنا لم يركب الله فيهم شهوة ولا يأكلون ولا يشربون ولا يتزوجون ولا ينامون فربما لنا لا يعذرون ولكنه ﷺ وقد كان بشرا مثلنا ومرت عليه أهوالنا فإنه يعتذر لنا ويقدم لنا العذر فى كل أحوالنا لحضرة ربنا عز وجل ﴿ **رسول من أنفسكم عزيز**

عليه ما عنتم ﴾ غير راض بما وجدنا فيه من عنت ومشقة فـــإن لنـــا نفوسا أمارة تطلب منا مخالفة أمر الله وتستبيح لنا معاصي الله وتوقعنـــا فيما لا يرضى عنا حضرة الله فقدم لنا هذا العذر عن الله حتى يطلـــب العفو لنا أجمعين يوم لقياه ولذلك قال لنا الله عز شأنه ﴿ **ولو أنـــهم إذ ظلموا أنفسهم** ﴾ ماذا يفعلوا؟ ﴿ **جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لـــهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما** ﴾ [الآية: ٦٤، النساء] واكتفى بـــهذا القدر خوفا من الإطالة وأكمل الدرس عقب الصلاة لمن عنده وقت.

قال ﷺ : **(التائب حبيب الرحمن والتائب من الذنب كمن لا ذنـــب له)**. ادعو الله وأنتم موقنون بالإجابة.

الخطبة الثانية :

الحمد لله الذى أولانا بنعمائه وفضلنا على كثير من خلقه في أرضه وسمائه وجمل قلوبنا بنور تقواه والإيمان به وجعلنا في الدنيا من أوليائه ونسأله عز وجل أن يحفظ لنا نور الإيمان ويقيم جوارحنا في طاعته حتى يتوفانا مسلمين ويلحقنا بالصالحين.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له إله بر تواب يحب العبد السريع إلى حضرته في الرجوع والمآب ويعده بغفران ذنبه في الدنيا وأن يلقاه بالاتحاف والإنعام والسرور في يوم الحساب.

وأشهد أن سيدنا محمدا عبد الله ورسوله النبى الأواب الذى وعده الله بأن يلبى له كل دعاء وأن لا يخيب له رجاء وأن لا يخزيه وأمته يوم العرض والجزاء فقال لهم ولنا أجمعين ﴿ **يوم لا يخزى الله النبى والذين آمنوا معه** ﴾ [الآية: ٨، التحريم].

اللم صلى وسلم وبارك على سيدنا محمد إمام الرسل والأنبياء وحامل لواء الحمد الذى نحتمى به جميعا يوم العرض والجزاء صلى الله عليه وعلى آله الأمناء وصحابته الأتقياء وكل من تابع هديه إلى يوم الجزاء.

أما بعد..

فيا عباد الله جماعة المؤمنين..

أمرنا الله عز وجل أن نعرف البشائر التى طلب من حبيبنا أن يبشرنا بها لنفرح بفضل الله ونفرح بكرم الله ونفرح بمزيد عطاء الله الذى خصنا به دون جميع خلقه وقال لنا أجمعين ﴿ **قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون** ﴾ [الآية: ٥٨، يونس].

اللهم فرحنا بفضلك ورحمتك فى الدنيا ويوم الحساب.

اللهم أعلى عندك مقامنا وتجاوز عن جميع ذنوبنا وسيئاتنا ما علمنا منها وما لم نعلم واغفر اللهم لأولادنا وبناتنا وزوجاتنا ولوالدينا وللمسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات الأحياء منهم والأموات إنك سميع قريب مجيب الدعوات يارب العالمين.

اللهم تفضل علينا بعفوك ورضوانك بعد صفحك وغفرانك فاجعل لنا مكان كل ذنب حسنة واجعلنا من الذين تقول فى شأنهم (**فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات**) [الآية: ٧٠، الفرقان].

اللهم أرنا الحق حقا وارزقنا إتباعه وأرنا الباطل هالكا وزاهقا وارزقنا اجتنابه.

اللهم حبب إلينا عمل الطاعات واستباق الخيرات وفعل النوافل والصالحات يا أرحم الراحمين.

اللهم انزع الغل والغش والحقد من نفوس المسلمين أجمعين وازرع فى قلوبهم المودة والمحبة لأنفسهم ولإخوانهم أجمعين.

اللهم وفق ولاة أمورنا وحكام المسلمين أجمعين لما تحبه وترضاه وأقم بهم شرعك وأصلح بهم الدنيا ودينك وكتابك يا الله.

اللهم اهلك الكافرين بالكافرين وأوقع اليهود والظالمين فى الظالمين وأخرج المسلمين وإخواننا فى فلسطين من بينهم سالمين غانمين.

اللهم أنزل علينا خيرك وبرك واكسنا جميعا بالصحة والعافية واجعل لنا من عندك رزقا مباركا طيبا يا خير الرازقين.

عباد الله اتقوا الله ﴿ **إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون** ﴾ وأقم الصلاة.



الفصل التاسع
فضل الله على الأمة المحمدية

ـ إغضاء رسول الله عن هفوات أمته .

ـ طريق المغفرة .

ـ شهادة المؤمنين لبعضهم .



فضل الله على الأمة المحمدية(*)

من فضل الله عز وجل على هذه الأمة والذى أمرنا الله عز وجل أن نعرفه ولا نعرفه إلا من رسول الله ﷺ لأنه هو الذى يبشر عن الله أن نعرف أن الله عز وجل اختصنا بالفضل والفضل هو الذى نسميه الهدية فالأجر يكون مقابل عمل أنا عملته لكن الهداية لماذا ؟ تكريما لى أو تكريما لأبى فى. فلو أعطى رجلا ابنى هدية فإنه لا يكرم ابنى لذاته ولكنه يكرمنى أنا فى عطائه لإبنى ربنا عز وجل يكرم هذه الأمة ببركة كاشف الغمة ﷺ وليس من أجل أننا نستحق العطاء ولكن لأننا نحن أمته ﷺ فيقول له يارب لم جعلت أمتى آخر الأمم ؟ قال: حتى يطلعوا على مساوئ الأمم ولا يطلع على مساوئهم أحد غيرى نحن عرفنا كل ما عملته الأمم السابقة جميعا. أمة آدم وقابيل وهابيل.. أمة نوح، أمة لوط.. كل هؤلاء عرفناهم ومن الذى يعرف ما عملناه ؟ لا أحد يعرف إلا الله عز وجل حتى يطلعوا على مساوئ الأمم ولا يطلع على مساوئهم أحد غيرى وحتى لا يطول مكثهم فى القبور يكون القبر لهم لمحة أو أقل ولذلك قال ﷺ فى حديثه الطويل : (**إذا دخل العبد المؤمن القبر فأول ما يدخل يرسل له الله رفيقا يقول له السلام عليك يا فلان وهذا الرجل شديد بياض الوجه شديد بياض الثياب له رائحة**

(*) درس بعد الجمعة فى المسجد الكبير ببور فؤاد يوم الجمعة ١٣ من جمادى الأولى ١٤٢٢هـ الموافق ٢٠٠١/٨/٣م.

طيبة وعندما يلقى عليه السلام يقول له من أنت؟ ومن الذى أرسلك إلى؟ فيقول : أو ما تعرفنى؟! أنا عملك الصالح وأنا معك هنا إلى يوم القيامة)[1] ثم يرسل الله له الملائكة ملائكة سؤال القبر هؤلاء الملائكة يسألون السابقين بطريقة ويسألوننا نحن بطريقة ثانية. يسألون السابقين بطريقة فيها تعنيف وفيها توبيخ لكن نحن يسألوننا بطريقة فيها تشريف لوصية النبى الحنيف ﷺ فقد حضر رجلا يحتضر من إخوانه فقال له يا ملك الموت ارفق به فإنه مؤمن وأمره مطاع ﴿ **وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله** ﴾ [الآية: ٦٤، النساء] فالكل لابد أن يطيعه. قال ﷺ : **(كل شئ فى السماوات أو فى الأرض يشهد أنى رسول الله إلا عصاة الجن والإنس)**[2] هؤلاء فقط هم الذين لا يشهدون لى بالنبوة والرسالة فقال له : **(أرفق به فإنه مؤمن فقال يا رسول الله أبشر فإنى بكل مؤمن شفوق ورءوف)** أى كل مؤمن يكون على هذه الشاكلة بعد ما يسألوه فيقولون ماذا بعد ذلك يا رسول الله؟ قال **(فيربتون على كتفه ويقولون له نم كالعروس فى ليلة عرسها لا يوقظها إلا أحب أهلها إليها)** إذا يقوم يوم القيامة مثل من ينام فى ليلة الدخلة يعنى لحظات، هذا بالنسبة لهذه الأمة. إذا لا يطول مكثنا فى القبور وتمر علينا هذه الساعات والأزمان والأوقات كطرفة عين أو أقل حتى يوم القيامة ما مقداره؟ ﴿ **فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة** ﴾ [الآية: ٤،

---

[1] رواه أحمد وأبو داود وابن خزيمة والحاكم والبيهقى عن البراء رضى الله عنه.
[2] رواه أحمد والدارمى عن جابر.

المعارج]، طوله مثل طول خمسين ألف سنة ونحن يا رسول الله مـــاذا نفعل فى هذه الخمسين ألف سنة ؟ قال: أنتم ليس لكم شأن بهذا الأمـــر. خذوا بالكم من هذه البشريات العظيمة والفضل الكبير **(يمر يوم القيامـة على المؤمنين كصلاة ركعتين خفيفتين)** مثل الـــذى يصلـــى ركعتيـــن خفيفتين لا يطيل فيهما لماذا؟ لأن هذه بشريات الله والفضل الكبير الـذى وعدنا به الله على لسان حبيبه ومصطفاه ﷺ من الذى يشـــهد لنـــا يـــا إخواننا؟ هل ينفع واحد نعمل له قضية يشهد له ابنه أو أبوه أو أخـوه أو أحد من عائلته؟ لا لكن الله كسر هذه القاعدة. قال هذه القـــاعدة علـــى الأمم السابقة فقط هم لا يشهدون على بعضهم الذى يشهد عليـــهم إمـــا الأنبياء والمرسلين الذين أرسلوا فيهم وإما العدول من أمتنا من العلمـــاء والعاملين والأولياء والصالحين وفوق كل هؤلاء سيد الأولين والآخرين ﷺ لكن نحن قال لنا الذى يشهد عليكم رسول الله ﷺ .

إغضاء رسول الله عن هفوات أمته

ورسول الله ﷺ كما وصف وكما قيل فى حقه **(كان أشـــد حيـــاءا من العذراء فى خدرها)**[1] أى من البكر خلف الستار بلغ به الحياء إلـــى درجة أنه كان لا يثبت بصره فى بصر أحد قط عندما يتكلم شخص مـع آخر ينظرون فى أعين بعض فسيدنا رسول الله من شدة حياءه كـــان لا يثبت بصره فى عين أحد هل يطلع على أحد وهو يفعـــل الذنـــب؟ لا.

---

[1] رواه البخارى ومسلم وأحمد وابن ماجة عن أبى سعيد.

يتغاضى عن هذه الذنوب ولا ينظر إلى هـــذه العيـــوب لأنـــه حبيـــب ومحبوب ومقرب إلى حضرة علام الغيوب ﷺ فعندما يقول: **(تعـــرض على أعمالكم كل ليلة)**[1] ليشهد لابد أن يرى أعمالنا فماذا يرى ؟ يـــرى الصالحات والنوافل والقربات ويغض طرفه عن المعــاصى والذنـــوب والسيئات لأن سيمته الحياء ﷺ وعندما يشهد لنا عند الله يكون مثلمـــا أعطاه الله عز وجل وأمره ﴿ **ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جـــاءوك** ﴾ والذى لم يلحق هنا يذهب إليه هنـــاك والذى لم يلحق هناك يذهب إليـــه فى الموقف العظـــيم يعنى لابد أن يذهـــب إليه. فالذى ينهض إليه هنـــا يا هناه والذى لم ينهض هنا يذهـــب له هناك والذى لم ينـــهض هنـــاك يذهب له فى الموقف العظيم ﴿ **جاءوك فاستغفروا الله** ﴾ ولابد للطلـــب أن يكون عليه تأشـــيرة رســـول الله ﴿ **واستغفر لهم الرسول** ﴾ مـــاذا يجدوا ؟ ﴿ **لوجدوا الله توابا رحيما** ﴾ [الآية: ٦٤، النساء] أى الـــذى يفعل ذلك يد المغفرة أما الذى يقول أنا منى لله مباشرة نقول لـــه تعـــال ننظر إلى صحيح المنقول، سيدنا أبو لبابة الأنصارى رضـــى الله عنـــه لما خان بنى قريظة رســـول الله فى غزوة الأحـــزاب وتحـــالفوا مـــع الأعداء مع قريش ومن معهم من قبائل العرب وخانوا الرسول فى هـــذه الغزوة، وكانوا عاهدوه أن يقفوا معه جمع أصحابه، وقال لهم : **(مـــن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يصلين العصر إلا فى بنى قريظـــة)**[2]

---

[1] رواه ابن سعد عن بكر بن عبد الله.

[2] رواه البخارى ومسلم وغيرهما عن ابن عمر.

وعرفنا أن الأمر هنا على السعة لأن منهم من فسرها وقال : أنا أصلى العصر هنا وأذهب إلى بنى قريظة، ومنهم من قال : أذهب إلى هناك أولا ثم أصلى العصر، واختلفوا مع بعضهم وذهبوا إليه فقال لهم: هذا صحيح، وهذا صحيح. لماذا تختلفون؟ طالما الأمر على السعة ولم يكن فيه تحديد فلماذا تحددوه وأقر هؤلاء وأقر هؤلاء حتى يعرفنا أن دين الله بحره واسع فلا يجب لرجل أن يفسر دين الله على هواه وإذا كان معه تصريح من حضرة الله يطلعنا عليه. أما إذا كان ليس معه تصريح فمن اجتهد فأخطأ فله أجر وإن أصاب فله أجران بشرط الاجتهاد مع نص ـ فاليهود كان صديقهم سيدنا أبو لبابة قبل إسلامه فقالوا له : ما رأيك؟ ما نية رسول الله؟ فخاف أن يتكلم لأنه لو تكلم يفشى سر رسول الله وهذه خيانة عظمى فأشار بإصبعه على رقبته يعنى سوف يذبحكم وبمجرد أن أشار بإصبعه شعر أنه خان رسول الله وقال أنا خنت رسول الله فذهب إلى مسجد رسول الله وربط نفسه فى عمود وجلس يتوب إلى الله ويرجع إلى الله وعندما سأل عنه رسول الله أين أبو لبابة ؟ قالوا له حدث كذا وكذا وربط نفسه فى المسجد فقال ﷺ : ولم لم يأت إلى فاستغفر له الله عز وجل فيغفر له الله، ما الذى جعله يفعل ذلك الأمر، فهذا أمر صريح أعطاه له الله عز وجل أن يستغفر لنا فقالوا له هل نفك رباطه يا رسول الله ؟ قال : لا. طالما اختار هذا الطريق حتى يأذن فيه الله عز وجل.

طريق المغفرة

فالطريق المختصر للمغفرة هو طريق رسول الله ﷺ الذى هو من أخطأ فى الوجود تاب به عليه الرب المعبود من أول من وقع فى الخطيئة يا إخوانى ؟ آدم عليه السلام ونزل من الجنة كيف تاب عليه الله ؟ سيدنا عمر يروى عن رسول الله الحديث الصحيح الذى رواه الإمام الحاكم فى المستدرك ورواه الإمام ابن خزيمة والإمام الترمذى والإمام أبو داود رضى الله عنهم أجمعين قال : **(لما وقع آدم فى الخطيئة قال يارب بحق محمد إلا غفرت لى . فقال الله تعالى يا آدم كيف عرفت محمدا ولما يأتى بعد؟ قال : يارب ما نظرت إلى شئ فى الجنة إلا وجدت اسمه بجوار اسمك ـ أشهد أن لا إله إلا الله بجوارها وأشهد أن سيدنا محمدا رسول الله ـ فعلمت أنه أعز الخلق عندك. قال صدقت يا آدم وإذ سألتنى بحقه فقد غفرت لك)** فهذا أول ذنب وأول توبة وهذا النموذج الذى اعتمده حضرة التواب عز وجل والحبيب ﷺ قال : الذى له طلب عند الله ويريد أن يقضى هذا الطلب فى الحال يضع كارت على الطلب ليستجيب الله على الفور **(إذا دعوتم الله فابدأوا بالحمد ثم ثنوا بالصلاة على واذكروا حاجاتكم ـ** هذا نموذج الطلب ـ **واختموا بالصلاة على فإن الله يقبل الصلاة على وهو أكرم من أن يدع ما بينهما)** قال فى هذا المعنى سيدى مصطفى البكرى ﷺ :

وأنت باب الله أى امرئ أتاه من غيرك لا يدخل

أنت الذى معك الطريق هل أحد يدخل الحضرة من غـــير مديـــر المكتب مع التعظيم والتنزيه لذى الجلال والإكرام عز وجل لكنـــه هـــو الذى أعطـــاه التفويض وقال له الذى يريد أن يتوب يأتى إليـــك أنـــت والذى تؤشر على طلبه قبلته وغفرت له لأنه جاء من الباب الصحيـــح لحضرة التواب رسول الملك الوهاب سيدنا محمد ﷺ .

شهادة المؤمنين لبعضهم

فعرفنا أنه شاهد علينا ﷺ وهو شاهد كريم ومن كرمه وجوده ﷺ قال انتهزوا هذه الفرصة وهذا المنصب الذى أعطاه الله لى ماذا نعمـــل يا رسول الله؟ قال : أنا أفوضكم أن تشهدوا لبعضكم والله يقبل شـــهادتكم لبعضكم والذى تشهدون له يقبله الله فقد كان جالسا مع أصحابه ومـــرت جنازة فقالوا كان رجلا مؤمنا فقال ﷺ : وجبت ومرت جنازة ثانيـــة فقـــالوا كان رجـــل طالحا فقـــال ﷺ وجبت. فســـألوه ما الذى وجـــب يا رسول الله ؟ قال : **الأول شهدتم له بالصلاح فوجبـــت لـــه الجنـــة والآخر شهدتم عليه بالفسق فوجبت له النار (أنتم شـــهداء الله فـــى الأرض)**[1] هذا الحديث فى البخارى ومسلم قالوا ومـــاذا نفعـــل؟ قـــال اشهدوا لبعض فقلوا له اعطنا المقياس الذى نشهد به على بعضنا. قـــال: **(إذا رأيتم الرجل يعتاد المسجد فاشهدوا له بالإيمـــان)** وفـــى روايـــة **(فاشهدوا له بالصلاح)**. قولوا كان صالحا ووجد فـــى عصرنـــا هـــذا

---

[1] رواه البخارى ومسلم وأحمد والنسائى عن أنس.

جماعة لا يعرفون شيئا فى الدين ويقولون لم هذه الشهادة؟ لا تشـــــهدوا لبعض لأنه لم يرد بها نص مع أن الحديث الصحيح: **(إذا رأيتم الرجـل يعتاد** ــ يعنى مواظب على الجمعـــــة والجماعــات فــى المســجد ــ **المســـجد فاشـــهدوا له بالإيمان)**[1] وآباؤنا الأميـــون كـــانوا فطنيـــن فعندما كانوا يصلون على رجل ميت صلاة الجنازة كانوا يقولـــون مــا تشهدوا له ؟ فيقولون : كان صالحا لأنهم يعلمون بأن هذه الشهادة تنفعه أما نحن فنقول لا تشهدوا. لماذا؟ عن النبى هو الذى قال ذلك وأعطانـــا الأساس ولم يعيننا مخبرين على بعضنا ولا قال انظروا إلى الملفــات أو اطلعوا على العورات ولا تجسسوا ولا تحسســـوا ولا يغتــب بعضكــم بعضا. بل طالما تراه يذهب إلى المسجد ويحافظ على فرض الله تقـــول كان مؤمنا كان صالحا كان تقيا وإذا شهدنا ماذا تفعل هـــذه الشـــهادة ؟ قال ﷺ : **(من شهد له أربعون من أمتى وجبت له الجنة)** ربما كـــان ملفه مملوءا بالجرائم والجنح والكبائر وكذا وكذا إذا كان يـــوم القيامــة يسأل الله المؤمنين فيقول كيف شهدتم لعبدى؟ فيقولون أنت يارب الــذى قلت لنا ﴿ **وما شهدنا إلا بما علمنا وما كنا للغيب حافظين** ﴾ [الآيـــة: ٨١، يوسف] نحن شهدنا بالنص الذى قاله حضرة النبـــى فيقـــول رب العزة عز وجل **(تجاوزت عن علمى فى عبدى وقبلت شهادة عبيــــدى فيه أدخلوا عبدى الجنة)** فيدخل الجنة بشهادتنا له نحن الذين نشهد لــــه من أجل أن يدخل الجنة يعنى وصل الأمر أنها ليست شــهادة رســـول

[1] رواه الترمذى والدارمى وابن خزيمة وابن حبان والحاكم عن أبى سعيد.

الله فقــط ولكن شهادتنا لبعضنا تدخلنا الجنة بأمر رسول الله وتفويضــه الذى أعطاه له الله فكيف عندما نقرأ التفويض العظيم الذى قال له فيــه ﴿ **ولسوف يعطيك ربك فترضى** ﴾ [الآية: ٥، الضحى] لم يقــــل لقــد أعطـــاك فنظن أن الطاء هنا القـــرآن أو تعاليم الدين لأن هذه أعطاهـــا له من قبل لكنه سوف يعطيه فى المستقبل إلى يوم القيامة ﴿ **ولســـوف يعطيك ربك** ﴾ إلى متى ؟ إلى أن ترضى حتى لم يقــل ترضى ولكـــن ﴿ **فترضى** ﴾ فورا لابد أن ترضى، إذا فالله حريص أن يرضيه قــــال فى هذا المقام سيدى الإمام جعفر الصادق رضى الله عنه (لن يرضـــى ﷺ وواحد من أمته فى النار) أى لا يرتاح إلا إذا أخرج له قرار عفــو يدخله به الجنـــة بأمر ممن يقول للشئ كن فيكون يا بختنا برســـول الله ويا هنانا بنبى الله ﷺ ولا أريد أن أطل عليكم فى هذا المجال لأن هــذا المجال واسع.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

الفهرس

الموضـــوع	الصفحة

المؤلف فى سطور
فوزى محمد أبو زيد

تاريخ ومحل الميلاد : ١٨/١٠/١٩٤٨م الجميزة مركز السنطة محافظة الغربية.

المؤهـــل : ليسانس كلية دار العلوم ١٩٧٠م.

العمـــل : مدير إدارة ـ بمديرية طنطا التعليمية.

محل الإقامة : الجميزة ـ غربية.

النشـــاط :

- يعمل رئيساً للجمعية العامة للدعوة إلـــى الله بجمهوريـــة مصـــر العربية والمشهرة برقم ٢٢٤ ومقرها الرئيسى: ٧٤ شـــارع ١٠٥ حدائق المعادى بالقاهرة ولها فروع فى جميع أنحاء الجمهورية.
- يتجول فى جميع أنحاء الجمهورية لنشر الدعوة الإسلامية وإحيـــاء المُثل والأخلاق الإيمانية بالحكمة والموعظة الحسنة بالإضافة إلـــى الكتابات الهادفة إلى إعادة المجد الإسلامى.

دعـــوته :

- يدعو إلى نبذ التعصب والخلافات بين المسلمين والعمل على جمـــع الصف الإسلامى وإحياء روح الاخوة الإسلامية والتخلـــص مـــن الأحقاد والأحساد والأثرة والأنانية وغيرها من أمراض النفس.

- يحرص على تربية أحبابه على التربية الروحيـــة الصافيـــة بعـــد تهذيب نفوسهم وتصفية قلوبهم.
- يعمل على تنقية التصوف مما شابه من مظاهر بعيـــدة عـــن روح الدين وإحياء التصوف السلوكى المبنى على القرآن وعمل رســـول الله ﷺ وأصحابه الكرام.

تطلب مطبوعات الدار
من الأماكن التالية

١ – دار الإيمان والحياة : ١١٤ شارع ١٠٥ حدائق المعـــادى – ت: ٥٢٥٢١٤٠ القاهرة.

٢ – الزقازيق : حى السلام ش عمرو بن العاص – مســجد جمعيــة الدعوة إلى الله.

٣ – ديرب نجم : جمعية الدعوة إلى الله – خلــف مدرســة الثانويــة للبنات.

٤ – الجميزة – غربية : دار الصفا – ت: ٤٩٤٥١٩ طنطا.

٥ – بنها : جمعية الدعوة إلى الله – المنشية – ٧ شارع شريف باشــا متفرع من شارع وهبة.

٦ – محافظة المنيا – مغاغة : جمعية آل العزائم "مسجد آل العزائم".

٧ – محافظة قنا – العديسات قبلى – نجع علوان : جمعية الدعوة إلــى الله.

٨ – محافظة الإسماعيلية – سرابيوم – عزبــة القراقــرة – جمعيــة الدعوة إلى الله.

٩ – الدراسة : دار جوامع الكلم.

١٠– مكتبات القاهرة.

١١– دار الشعب : شارع القصر العينى.

١٢– مكتبة تاج بداير سيدى أحمد البدوى بطنطا.